الجزء الثامن المجلد السادس

المقتبس

البكتيريا

البكتيريا او الباشلس او البكتريات كلمات حديثة الوضع للدلالة على الاحياء الصغيرة التي كشفها مؤخراً المجهر الشمسي الميكروسكوب

وهذه الاحياء ليست حيوانات كما يتبادر الى الذهن من تسميتها بالاحياء بل نباتات في منتهى الصغر فلا ترى بالعين المجردة لان معظمها خالٍ من الكلوروفيل اي المادة الخضراء التي تتلون بها النباتات فضلاً عن تناهيها في الصغر حتى لا يمكن لاحد الناس بصراً ان يرى اكبرها دون ان يستعين بالآلة المعظمة او المجهر وهي الميكروسكوب او المجهر الذي ظهر الى عالم الوجود في القرن الخامس . ولذلك فالعلماء الذين عاشوا قبل القرن التاسع عشر لم يعلموا شيئاً عن هذه الاحياء هذه التي نجح درسها الآن علماؤنا براسه كثير الفوائد للانسان والحيوان من قبل الوقاية الصحية والعوائد الزراعية على ما نحكيه في هذه المقالة التي جمعناها من مباحث العلماء ذوي الاختصاص حتى سنتنا الحاضرة

هذه البكتيريا ومعظمها [illegible] — هي احياء نباتية ذات خلية الوضع بسيطة واحدة عديمة اللون [illegible] مستديرة او اسطوانية او مستطيلة الشكل بشكل لا [illegible] الاجسام التي تحتاج في عيشها الى القوة الشمسية العادية [illegible] منها من النواة . ومعدل قطر حجم جرثومتها [illegible] بنسبة نحو جزء من الف من المليمتر . والمليمتر جزء من الف من المتر

وهي قديمة العهد جداً كما تدل على ذلك آثارها في الاحافير المتحجرة في عصر تكون الفحم الحجري وما قبله . وتوجد في الهواء والانهر والبحار ، وتكثر في المراحيض وكوم الزبل ، وفي التراب ، وحيث تكون المواد العضوية فتنحل ، وفي جميع السوائل كالدم

واللبن والبيرا والماء على انواعه ، وفي المواد الغذائية الجامدة كاللحم والخضر وغيرهما . وكل مادة من هذا القبيل اذا ظلت مدة معرضة للهواء تتناولها البكتيريا وتتوالد فيها بسرعة وكثرة هائلة . ولذلك فهي منتشرة في كل مكان تحت سطح الارض وعليه وفي الهواء وداخل الاجسام الحية . فهي عالم بذاته ويعد بملايين الملايين ولم نكن نعلم عنه شيئاً يذكر حتى اواسط القرن الماضي

ويقل انتشار هذه الاحياء في الاعالي والبلدان المفتوحة الجوانب خصوصاً في الشمال حيث تقل جداً بالقرب من المنطقة الشمالية او تنعدم بتاتاً . ويخلو منها هواء الابحر والاوقيانوسات لانه في تقلبه كثيراً ما يلامس الماء فيلقيها فيه ولذلك فهواء البحار اقل نقلاً للمرض والعدوى به . وكلما ارتفعنا في الجبال قل وجودها حتى تكاد تفقد على علو ٥٠٠٠ متر فما فوق ذلك . ولهذا السبب تنسب مناعة اهل الجبال من بعض الامراض كالهواء الاصفر وغيره مما لا تنقل ميكروباته الا محمولة على ذرات الغبار التي تقل جداً في هواء الاماكن المرتفعة

وتعيش الميكروبات على الحيوانات في درجات مختلفة من الحرارة . والنبات اقل ملاءمة لنموها لما فيه من السوائل الحامضة . الا انها تكثر ايضاً في الجذور والاغصان ذات العقد تحت الارض وفوقها . وهي تكثر في القناة الهضمية الا حيث تجتمع المفرزات الحامضة لان الحامض عدوها ولذلك يحسن معاطاته في اوقات انتشار الاوبئة . وقد علق بعض العلماء مكانة كبرى على استعمال اللبن الرائب لما فيه من الحامض حتى نسب طول الحياة الى طول استعماله غذاء

توالد الميكروبات ونموها وفعلها — تتوالد الميكروبات بالانقسام الذاتي فتتخذ اشكال انواعها المتعددة بين مستدير وعصي وخيطي الخ . والمعتاد ان يكون انقسامها عرضاً لا طولاً فتنشق كاليراعة اذا نصفناها بالشق طولاً

وقد امتحن بعضهم سرعة توالد هذه المخلوقات الصغيرة فزرع حويصلة خيطية منها في مرق الساعة ١١ صباحاً وكانت اشبه شيء بنقطة ترسم برأس ابرة فتضاعفت بعد ساعة بالانتفاخ وانفرجت عند الساعة ٣ ½ بعد الظهر وصارت عشرة اضعاف حجمها الاصلي عند الساعة ٨ ½ فاتخذت شكلاً مستطيلاً ممتداً وعند نصف الليل كانت قد بلغت ١٢ عقدة كل منها حويصلة مستقلة ، وبعد ذلك بدأت تنقسم عند ثلثها الاعلى انقساماً خاصاً بشكل قضبان دقيقة

وهذا الانقسام كثيراً ما يحدث في بعض الانواع بعد نصف ساعة من زمنها وما ينشق منها يعود فينقسم ايضاً بمثل هذا الوقت فيبلغ عدد ما يتولد منها في ٢٤ ساعة ملايين الملايين كما لا يخفى على الحساب . وبهذا الايضاح تعلم شدة الخطر الناتج من كثرة تولد الميكروبات الضارة داخل الجسم بمثل هذه السرعة . ولا يكون على الجسم خطر منها الا اذا كانت من الانواع التي تترك في الدم مفرزات او نفايات سامة التي لا تلائم بطبيعتها طبيعة الدم لاختلاف مادته عن مادتها اختلافاً عظيماً

اما فعل البكتيريا في الجماد ولا حياة فهو على غاية الشأن . لانها هي التي تخمر العجين والخل والخمر وسائر المشروبات وتعدل المواد السائلة من دون ضرر وتنفع في كيفية هذا التعديل وهي التي تفتت الصخور وتسطح وجه الارض وتساعد على نمو النبات وحياة الحيوان بل قد عدها بعضهم أصل جميع الكائنات العضوية . واليك خلاص فعلها في الحيوان والنبات والجماد

فعلها في الحيوان — ان افعال الميكروبات بالنظر الى صحة الحيوان ما تحدثه من المنفعة والضرر . فهي تفيد الحيوان من اوجه عديدة لا يتسع المقام لايرادها بالتفصيل ويكفي لتقدير نفعها مكانة وجودها في الماء الذي نشربه لانه اذا خلا منها القطر صار ضاراً واذا خلت مياه اي نبع خلواً تاماً منها انقلبت سماً ناقعاً كما يعلم ذلك من اختبار الينابيع الشديدة الصفاء في بعض انحاء العالم التي تضر شاربيها ضرراً بليغاً اذا انتفى منها وجود الميكروبات

وقد ثبت بعد امتحانات باستور ان لا حي يتولد من غير الحي ولذلك فلا يفسد اللحم ولا تختمر السائلات على انواعها الا بفعل هذه الميكروبات ومفرزاتها . فهي التي تهيء لنا ما نتنعم به من المشروبات المختمرة كالخمر والبيرا ولبن الرائب والجبن والزبدة وغيرها مما لا يحيط به العد . فلو فرضنا فقد هذه الميكروبات فجأة لانقلبت احوال المعيشة انقلاباً يعسر تصوره . لانها هي التي يتم بواسطتها الاختمار والتعفن ودبغ الجلود وتخمير النيل والتبغ وسائر ما له اتصال برغد العيش خصوصاً في هذا النوع كما يظهر . فمعظمها نفع لذوات الحياة

غير أن بعضها يفرز في الدم مادة سامة فيمرض او يميت المريض . وقد ثبت الآن ان جميع الامراض وفي جملتها القروح والبثور وغيرها مسبب عنها . ولا نستثني من ذلك الا بعض العلل الناتجة عن فعل حيوينات ضارة

وبعد كشف كيفية فعل هذه الميكروبات صار من السهل شفاء الجراح وحفظها سليمة من الفساد وما الفساد الا فعل هذه المخلوقات الصغيرة في الدم. فكل ما يميتها من الادوية والعقاقير يسمى مطهراً لانه يمنع افساده الدم

وميكروبات الامراض تختلف كثيراً في شكلها ومدة حياتها. فمنها ما هو عصوي الشكل كميكروب الكوليرا ومنها ما هو بيضوي او مستدير او غير ذلك. وبعضها لا يعيش بضعة ايام كميكروب الكوليرا الذي علم انه يموت بعد اسبوع من ولادته او اقل من ذلك. وغيره كميكروب الخناق او الدفتيريا قد يعيش سنة كاملة. وميكروب السل يعمر ابداً وتساعده المواد الحامضة على الفتك بالناس ليس لان الحامض يلائم طبعه بل لانه يهدم جدران الخلايا الرئوية المسلولة كما أعادتها التغذية القوية الى حالة كلسية. ولذلك فلا يجوز للمسلول تناول الاطعمة الحامضة مطلقاً. واذا اقتصر على الاغذية القلوية ساعد الطبيعة على شفائه

فعلها في النبات — في التربة انواع من البكتيريا لا تعيش الا على المواد النباتية كما انه يوجد غيرها مما يعيش على المواد المعدنية. فميكروبات النبات تتناول من الهواء المادة الكربونية تمثلها اي تهضمها وتغتذي بها فتفصل بذلك النيتروجين وتبثه في جذور النبات. ومنها انواع تحل الماء والهواء الى عناصرهما فتسهل على النبات الاغتذاء بما يلائمه من هذه العناصر

ومما يستحق الذكر من افعالها ان بعضها يعمل عكس عمل الآخر فيتكون من هذه الاعمال دورة في تكييف المواد الغذائية تشبه الدورة المائية التي تتم بتبخير الشمس لمياه الابحر وغيرها فتصعد المياه الى الجو حيث تنعقد مطراً يعود الى الارض فيتبخر ثانية ويصعد ثم يعود وهكذا. وعلى هذا المنوال تحول انواع البكتيريا المواد النشادرية في التربة الى نيترات نباتية يتناولها الحيوان بعد تحولها الى بروتيد ثم تعيدها البكتيريا الى نشادر ثم الى نيترات وهكذا كأن بيدها قياد العناصر الغذائية تصرفها طبقاً لنواميس حفظ الوجود

وفي التربة نوع من البكتيريا الخيطية الشكل تدخل أهداب جذور النباتات القرنية كالفول السوداني وتخترق نسيجها فتهيجها فتكوّن عقداً وغدداً تملأها بالنتروجين. وهذا هو سر تولد البطاطا وسائر الاثمار التي تحت الارض والغدد العفصية في السنديان. وهي التي تنخر قصب السكر وغيره

وقد عني الالمان بزرع الانواع البكتيرية التي تخصب بعض النباتات وسموها بكتيريا النتروجين الكثيرة الفائدة من هذا العنصر لتغذية النبات . ورأى غيرهم غيرها مما يحسن به نمو الورد والقمح والقطاني والخضر وغير ذلك فتفعل فعل السماد والزبل الطبيعي

وطريقة استعمالها انهم يربون انواع البكتيريا في مادة تلائم نموها ثم ينقعون بهذه المادة البذار او يذرونه في التربة المراد زرعها فيقبل الزرع اقبالاً غريباً . ويوجد في اكثر عواصم اوربا واميركا الآن مستودعات تبيع هذا اللقاح البكتيري فليت المزارعين عندنا الآن يجلبونه لاحدى مزارعهم الراقية فيستفيدون ويفيدون البلاد

فعلها في الجماد — اي المواد غير الآلية . من البكتيريا انواع ما تعيش على الجماد كالصخور والمعادن على اختلاف اجناسها فيكون لها الملكة الوسطى بينها وبينها مما يشبه الدورة المثالية المذكورة آنفاً . فبكتيريا الكبريت مثلاً تفعل هذا الفعل بتوليدها الكبريتيوم الذي تحوله الى تيوسولفوم ثم الى كبريت ثم تحله وتعيده سيرته الاولى . ويقال مثل ذلك عن بكتيريا الصخور والحديد وسائر المعادن . وتعد التربة لتكون صالحة لان يتغذى منها النبات ولان يتغذى من هذا الحيوان ثم تعود مفرزات هذا وبقاياه الى التربة . فهي اول ممثل لاقدم اشكال الحياة المجهرية بقوة تحول عادمات الحياة الى اشكال حيوية . ولذلك قيل انها الاول في انشاء الحياة على سطح كرتنا الارضية حتى عدها بعضهم اول جرثومة حية في الوجود كان لها شأن واي شأن على وجه البسيطة

وفوق ذلك كله قد ثبت انها هي التي تحدث الحرارة بشدة حركاتها عند انضغاط التبغ بعضه فوق بعض وعند تكويم القطن والتبن الخ حتى انها تحدث اشتعال بعض هذه المواد اذا ساعدتها الحرارة الطبيعية

وهي التي يضيء بها سطح البحر لانها تؤكسد الهيدروجين المفسفر في الماء كما تؤكسد الكحول في الخمر فيقلب خلاً

خلاصة — نحن نعيش في وسط عوالم خفية عن النظر تدعى البكتيريا او الميكروبات . ومعظمها نافع للانسان بما يحدثه من التغيرات المفيدة في الجوامد والمواليد . ويمكن اتقاء الضار منها بتلقيح الجسم بمصل مخفف منها كمصل الدفتيريا ولقاح الجدري وغيرهما . وان هذه الاحياء تعيش في درجات متفاوتة من الحر والبرد . فبعضها يعيش في قلب الثلج وبعضها يبقى حياً في حرارة تبلغ اكثر من مئة درجة بمقياس سنتيغراد ولذلك يجب اتقاؤها بالحيطة الصحية التي قالت فيها الحكمة الذهبية احفظ بدنك وصن صحتك

ولنا في أجسامنا من كريات الدم البيضاء خير واق من كثير من الميكروبات الضارة لان هذه الكريات تبتلعها فتمنع انتشارها وتوليد السم بمفرزاتها

وقد تبين ان التعب والجوع الشديد والتعرض للبرد جميع هذه تقلل مناعة الجسم فتزيده تعرضاً لفعل البكتيريا السامة . وان الحوامض تخفف فتكها بكريات الدم الحمراء .

وبعض الناس ينجون من بعض الامراض لعدم وجود الفة كيمية بين خلايا اجسامهم وبين سم البكتيريا وهذا هو السر في نجاة الكثيرين من فعل الاوبئة في حين وقوع غيرهم فريسة لها

ويقال اجمالاً ان درس طبائع البكتيريا واخضاعها لقوة الانسان في كثير من الحالات من حسنات النصف الاخير من القرن الماضي الذي فتح باباً واسعاً للتوغل في البحث البكتيري الذي لا بد ان ينتهي الى كشف حقائق باهرة تدهش العقول بما تحدثه من الانقلاب في سير العمران وترقية حياة الانسان .

بيروت خليل سعد

ابيات العادات

يقف الناظر في دواوين الادب ومجاميع الشعر والاخبار على ابيات غامضة المعنى يشكل عليه فهمها يسميها علماء الادب بابيات المعاني . وقد عنوا قديماً بجمعها وتدوينها وشرح معانيها وتفسير مستغلقها الا ان يد الضياع تلاعبت بتلك المؤلفات فلم يصل الينا منها الا القليل ولا نقف على هذا النوع من الشعر الا نبذاً متفرقاً في تضاعيف الاسفار المختلفة . اذكر اني كنت اراجع مرة في شرح القاموس مع الامير محمود سامي باشا البارودي فمر بنا قول القائل

فوردت مثل اليابس المرتاز   تدفع عن اعناقها بالاعجاز

لم ينكشف لنا معناه مع اطالة الروية واجهاد الفكر الا بعد ان جاءنا عنه استاذنا الامام الشنقيطي رحمه الله فقال هذا من ابيات المعاني يذكر ابلاً وردت غديراً كالسيف الصقيل في الصفاء وقوله تدفع عن اعناقها الخ يعني انها كثيرة الالبان تملأ الضروع وضروعها في اعجازها فاذا نزل الضيوف بصاحبها قراهم من البانها فأغنى ذلك عن نحرها فتكون دفعت عن اعناقها باعجازها قال وغاب الرجل اعيت على متصديها والرجال لا اشهى

وقد عثرت على ضرب آخر من الشعر ان لم يكن من هذا النمط فهو منه قريب رأيت ان اجمع ما تيسر لي منه واسميه (ابيات العادات) وهي ابيات ظاهرة اللفظ والمعنى الا انها غامضة من جهة القصد والمرمى فلا يفهم مراد قائلها الا بمعرفة عادة من عادات العرب او نوع من انواع عيشهم بني عليه البيت كقول الخنساء في رثاء اخيها معوية

الا والله لا تسلاك نفسي لفاحشة اتيت ولا عقوق
ولكني رأيت الصبر خيرًا من النعلين والرأس الحليق

فليس في الفاظ البيتين لفظ غريب غير مفهوم كما ان معناهما ظاهر في غاية الوضوح وانما الاشكال في مرادها بالنعلين والرأس الحليق فاذا عرفنا ان العادة كانت عند نساء العرب اذا اصبن في حميم ان يحلقن رؤوسهن وتأخذ الواحدة منهن نعلين في يديها تصفق بهما وجهها زال عنا الاشكال واستبان لنا القصد · وفي معنى بيتي الخنساء قول عبد مناف بن ربع الهذلي

ماذا يغير ابنتي ربع عويلهما لا ترقدان ولا بؤسى لمن رقدا
كلتاهما ابطنت احشاؤها قصبًا من بطن حلية لا رطبا ولا نقدا
اذا تأوب نوح قامتا معه ضربا اليما بسبت يلعج الجلدا

وهو نوع مستقل من الشعر لم ارهم اعتنوا بجمعه اعتناءهم بابيات المعاني · فمنه قول زهير ابن ابي سلمى

ومن يعص أطراف الزجاج فانه يطيع العوالي ركّبت كل لهذم

الزجاج بالكسر جمع زج بالضم وهي حديدة تكون في ساقة الرمح واللهذم السنان ويكون في عاليته وظاهر المعنى ان من ابى الصلح ذلّته الحرب او من لا يقبل الامر الصغير اضطر الى قبول الكبير والبيت مع صلاحه لهذا المعنى فانه يتضمن شيئًا آخر من عاداتهم وذلك ان الفئتين من العرب كانتا اذا التقتا في القتال سددت كل واحدة منهما زجاج الرماح نحو صاحبتها ثم يسعى الساعون في الصلح فان ابتا الا التمادي في القتال قلبت كل واحدة منهما الرماح واقتتلا بالاسنة

(ومن ابيات العادات) قول النابغة الذبياني :

فبت كأني ساورتني ضئيلة من الرقش في انيابها السم ناقع
يسهّد من ليل التمام سليمها لحلي النساء في يديه قعاقع

السليم الملدوغ وكانت عادتهم كما في لسان العرب وشرح الديوان ان يضعوا في ايدي

الملدوغ شيئاً من الحلي لئلا ينام فيدب السم في جسده فيقتله ومثله قول الآخر

بتُّ معنًى بالهموم كأنني   سليم نفى عنه الرقاد الجلاجل

قلت وغريب تقارب بعض العادات عند الامم فقد حكى لي شيخ من الجراكسة ان من عاداتهم في بلادهم انهم لا يدعون الجريح ينام لئلا يموت على زعمهم فيعملون حوله من يقرع على طست او قدر من النحاس ليوقظه كلما اغفى ولا يزالون يتناوبون ذلك حتى يتم شفاؤه .

(ومن ابيات العادات) قول الربيع بن زياد في مالك بن زهير العبسي

من كان مسروراً بمقتل مالك   فليأت نسوتنا وجه نهار
يجد النساء حواسراً يندبنه   يلطمن اوجههن بالاسحار

قال مراده ان من كان شامتاً مسروراً بمقتل مالك فليأت نسوتنا وهن على هذه الحال ليعلم انا اخذنا بثأره فلا يشمت به وذلك لان العرب كانت تندب قتلاها بعد ادراك الثأر وقد حكى التبريزي اقوالاً اخرى في البيتين نخرجها عما نحن فيه .

(ومنها) قول الكميت

احلامكم لسقام الجهل شافية   كما دماؤكم تشفي من الكلب

جاء في معاهد التنصيص قال ابن الاعرابي : كانت العرب تقول من اصابه الكلب او الجنون لا يبرأ منه الا ان يسقى من دم ملك فهو يقول ان ممدوحيه ارباب العقول الراجحة ملوك واشراف ومثله قول القاسم بن حنبل من شعراء الحماسة

بناة مكارم وأساة كلم   دماؤهم من الكلب الشفاء

وقد حكى التبريزي في شرحه نحواً مما حكاه ابن الاعرابي ثم قال وقيل في دوائه ان تشرط الاصبع الوسطى من يسرى رجل شريف ويؤخذ من دمه قطرة على تمرة فيطعم المعضوض فيبرأ وقيل انه يسعط به انتهى . ومثله قول عبد الله بن الزبير (بفتح الزاي وكسر الباء) الاسدي في عبد الله بن زياد

من خير بيت علمناه واكرمه   كانت دماؤهم تشفي من الكلب

وقول عبد الله بن قيس الرقيات

عاودني النكس فاشتفيت كما   تشفي دماء الملوك من كلب

وقول ابن عباس الكندي لبني أسد في قتلهم حجر بن عمرو

عبيد العصا جئتم بقتل رئيسكم   تريقون تاموراً شفاء من الكلب

الشاعر هذا المعنى ، وكلهم اقتصروا على ذكر الكلب وقد جمع الفرزدق بينه وبين الجنون فقال :

ولو تشرب الكلبى المراض دماءنا   شفتها وذو الخبل الذي هو أدنف

وذكر الجنون عاصم بن القرية الجاهلي فقال :

وداويته مما به من مجنة   دم ابن كهال والنطاسي واقف
وامنيته دهراً بقيمة جده   وليس لشيء كاده الله صادف

صادف يعني صارف . قال الجاحظ وكانت الحكماء تزعم ان نوفل دم الملوك شفاء من الكلب على معنى ان الدم الكريم هو الثأر المنيم وان دواء الكلاب نحو معنى قول الشاعر :

كلب من حس ما قد مسه   وافانين فؤاد مختبل

دل معنى قوله (كلب) ضرب من الجنون وقال اذا كلب من البعض والغضب فأدرك ثأره فسكت هو الشفاء من الكلب وليس ان هناك دماً في الحقيقة يشرب ولولا قول عاصم ابن القرية (والنطاسي واقف) لكان ذلك التأويل جائزاً انتهى كلامه . قلت وقد تطرف العذري فقال يرثي من الصيد والفرحه يخرج هذا الزعم عند العرب

ليبك الهوى بما كنت أهله   وليبك الأجر عفى مناقب وصب
لئن عصدت ابنا العم من سقم   فقد أرقت دماً يشفي من الكلب

(ومن ابيات العادات) قول القائل :

ولا عيب فينا غير عرق لمعشر   كرام وانا لا نخط على النمل

النمل هنا جمع نملة وهي قروح تخرج في الجسد ولو لم يكن البيت مبنياً على عادة لهم لما كان معنى لا نخط ، لانه مما لا يختصون في تلك القروح ولكن مراد الشاعر انا لسنا بمجوس لزعم العرب ان ابن المجوسي اذا كان من اخته وخط بيده على النملة برأت كذا في كنايات الجرجاني وذكر صاحب اللسان والعلامة ابن القيم في كتابه الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان ان ذلك من زعم المجوس الخسيس . قلت لا مانع من ان يكون انتقل منهم الى العرب فاعتقدوه واضافوه الى مزاعمهم في الجاهلية كما انتقلت لبعضهم اشياء من التمجس عند الفرس .

(ومنها) قول سبرة بن عمرو الفقعسي

أتنسى دفاعي عنك اذ انت مسلم   وقد سال من ذل عليك قراقر

ونسوتكم في الروع باد وجوهها يخلن اماء والاماء حرائر

وذلك لان الحرائر كن في مثل ذلك الوقت يتشبهن بالاماء في كشف وجوههن ليزهد فيهن فيأمن السبي كما في شرح الحماسة للتبريزي وقال ايضاً في تفسير قول عمرو بن معد يكرب

لما رأيت نساءنا يفحصن بالمعزاء شدا
وبدت لميس كأنها بدر السماء اذا تبدى

ان المعنى برزت كاشفة عن وجهها كأنها قد ارسلت نقابها ودل على هذا بقوله كأنها بدر السماء اذا تبدى وانما فعلت ذلك اما للتشبه بالاماء حتى تأمن السباء او لما تداخلها من الرعب انتهى · قلت وليس من هذا ما انشده الاشنانداني في كتاب معاني الشعر لذي الخرق الطهوي او لغيره

ولما رأين بني عاصم ذكرن الذي كن أنسينه
يوارين ما كن حسرنه واخفين ما كن ابدينه

لان معناه كما فسره انهن نساء قد سبين فسبين الحياء وابدين وجوههن فلما رأين بني عاصم ايقن انهن قد استنقذن فراجعن حياءهن فسترن ما كن ابدينه انتهى ·

(ومنها) قول عنترة

تركت جُريّة العمري فيه شديد العير معتدل سديد
فان يبرأ فلم انفث عليه وان يُفقد فحقٌّ له الفقود

يريد تركته وفيه سهم شديد العير والعير الناتئ وسط النصل والبيت الثاني بني على عادة كانت لهم وهي ان الرجل منهم كان اذا رمي بسهم واراد سلامة الرمية منه رقى سهمه واذا اراد الاهلاك لم يفعل ذلك

(ومنها) قول كبشة اخت عمرو بن معد يكرب

ارسل عبد الله اذ حان يومه الى قومه لا تعقلوا لهم دمي
ولا تأخذوا منهم افالا وابكرا واترك في بيت بصعدة مظلم

البيت الاول مخروم وصعدة مخلاف من مخاليف اليمن والمعنى ان هذا المرثي ارسل يقول لقومه بلسان الحال لا تأخذوا بدل دمي عقلاً اي دية وتتركوني في قبر مظلم تريد بذلك تحريضهم على اخذ الثأر ولا يفهم من ظاهر قولها بيت مظلم الا حكاية الحال لان القبر لا يكون الا مظلماً ولكن الامر ليس كذلك بل هو مبني على ما كانوا يزعمون ان

قبر المقتول لا يزال مظلماً حتى يثأروا به فاذا فعلوا اضاء .

(ومنها) قول جرير يرثي قيس بن ضرار

اظن انهمال الدمع ليس بمنته   عن العين حتى يضمحل سوادها
وحق لقيس ان يباح له الحمى   وان تعقر الوجناء ان خف زادها

وهو مبني على عادة لهم وهي ان الرجل كان اذا مر بقبر رئيس وهو في صحبة احب ان ينوب عن المقبور في الضيافة واذا لم يساعده من الطعام ما يدعو الناس اليه عقر ناقته اكراماً له . وقيل ان ربيعة بن مكدم كان لا يمر بقبره احد من العرب الا عقر عليه دابة او بعيراً حتى مر به شيخ كبير فقال لا اعقر ناقتي ولكن ارثيه فكان ذلك ورثاه بقوله :

لا يبعدن ربيعة بن مكدم   وسقى الغوادي قبره بذنوب
نفرت قلوصي من حجارة حرة   بنيت على طلق اليدين وهوب
لا تنفري يا ناق منه فانه   شريب خمر مسعر لحروب
لولا السفار وبعد خرق مهمه   لتركتها تحبو على العرقوب

فكان اول من ترك العقر عليه

(ومنها) قول الحطيئة

قد ناضلوك فسلوا من كنائنهم   مجداً تليداً ونبلاً غير انكاس

قال التبريزي في شرح الحماسة اراد بالمجد التليد ان الشجاع منهم كان اذا اسر فارساً مذكوراً جز ناصيته وجعلها في كنانته . وفسره ابن ابي الاصبع في كتابه بديع القرآن تفسيراً آخر فقال معنى هذا البيت لا يعرفه الا من عرف ان عادة العرب اذا منوا على اسير اعطوه نبلاً من نبالهم عليها اشارة تدل على انها لاولئك القوم لا تزال في كنانته فقال الحطيئة لهذا الممدوح الذي عناه بهذا المدح ان عداك ناضلوك فسلوا من كنائنهم تلك النبل التي اعطيتها لهم حين مننت عليهم تشهد لك باياديك عند اولئك فكان هذا مجداً تليداً لك لا يقدرون على جحده ثم انه شبه هذه النبل التي ليست بانكاس يعني المآثر التي لا تنكس اذا ناضلت بها في العرض وهذا غاية المدح للممدوح ونهاية الهجاء لعداه اذا جعلهم مع معرفتهم بفضله عليهم يناضلونه بما اذا اظهروه اثبت له الفضل عليهم وهذا غاية الجهل منهم والغباوة انتهى كلامه .

(ومنها) قول سحيم عبد بني الحسحاس

فكم قد شققنا من رداء محبر ومن برقع عن طفلة غير عانس
اذا شق برد شق بالبرد برقع دواليك حتى كلنا غير لابس

جاء في شرح شواهد الجمل ان العرب كانت تقول ايما امرأة احبت رجلاً ولم يشق برقعها وتشق هي رداءه فسد ما بينهما انتهى . ويروى (اذا شق برد شق بالبرد مثله) وحكوا ان العرب كانت تزعم ان المتحابين اذا شق كل واحد منهما ثوب صاحبه دامت مودتهما ولم تفسد .

(ومنها) قول عمر بن ابي ربيعة

أهيم بها في كل ممسى ومصبح واكثر دعواها اذا خدرت رجلي

لانهم كانوا يزعمون ان الرجل اذا خدرت رجله وذكر من يحب او دعاه ذهب خدرها . ومثله لجميل

وانت لعيني قرة حين نلتقي وذكرك يشفيني اذا خدرت رجلي

(ومنها) قول الاعشى

ويأمر لليحموم كل عشية بقت وتعليق فقد كاد يسنق

روى الثعالبي في فقه اللغة عين بدل قت . واليحموم فرس كان للنعمان بن المنذر والسنق في الدواب بمنزلة التخمة في الانسان وليس في ظاهر معنى البيت ما يستحسن بل قال فيه بعض من لا يعرف عاداتهم ان القيام على الفرس والاعتناء بعلفه حتى يكاد يتخم ليس مما تمدح به السوقة فضلاً عن الملوك ومراد الشاعر وراء كل هذا لانه بناه على عادة كانت لملوك العرب وذلك انه بلغ من حزمهم ونظرهم في العواقب ان احدهم لا يبيت الا وفرسه موقوف بسرجه ولجامه بين يديه قريباً منه مخافة عدو يفجؤه او حالة تصعب عليه فكان للنعمان فرس يقال له اليحموم يتعاهده كل عشية وهذا مما تمدح به العرب من القيام بالخيل وارتباطها بافنية البيوت كما في العقد الفريد . وقد ذكر الاعشى اليحموم ايضاً في قوله

او فارس اليحموم يتبعهم كالطلق يتبع ليلة البهر

اي فارسه النعمان وقال لبيد

والحارثان كلاهما ومحرق والتبعان وفارس اليحموم

(ومنها) قول الشاعر

كفاك الله يا عصم بن لأي حبال بني ابيك وهم عياء

إذا مرّوا بحيّك لم يعوجوا   ولو عطى سيدهم الظلام

[illegible] جمع حيزة بالكسر . وكان من عادتهم ان الرجل كان يحمل حبلاً ويسترفد عشيرته فإذا أعطى الشاة والحاشية من الابل ربطها بالحبل كذا في معاني الشعر للاشنانداني والبيت اقرب لابيات الخلق منه لابيات العادات .

ومنها قول الآخر يصف حماراً

يلوي بحاجب عانه فكأنه   لما تغرد في الصهيل نقيب

النقيب اي منقوب الحنجرة وكان من عادة العرب اذا اشتد الزمان نقبوا حنجرة الكلب او قطعوه ليضعف صوته فلا يسمع الضيف صياحه فشبه نهيق هذا الحمار بصياح الكلب النقيب . وفي اللسان ان ذلك كان يفعله البخلاء من العرب لئلا يطرقهم ضيف باستماع نباح الكلاب . وانشد الاشنانداني في معاني الشعر

تجاوبن في داري والليل غاسق   تعاوي منقوبات بني محارب

وقال في اللسان المنقوبات الكلاب كانوا اذا اشتد الزمان نقبوا لسان الكلب لئلا يسمع نباحه يقول فهذه الابل كأنها منقوبات [illegible] فهي ترغو رغاء ضعيفا .

ومنها قول الآخر

تلفت نحو الحي حتى وجدتني   وجعت من الاصغاء ليتاً واخدعا

ظاهر معناه انه لشدة شوقه الى الحي اكثر التلفت نحوه حتى وجعته عنقه . ولكن الرواة من الاصمعيين [illegible] حملوه على عادة كانت لهم وهي زعمهم ان المسافر اذا خرج فالتفت لم يتم سفره فال لانقطاعه لانه كان عاشقاً فاحب ان لا يتم سفره ليرجع الى من يحب .

(ومنها قول بشر بن ابي حازم [illegible])

[illegible]

[illegible] في اللسان

(ومنها) قول متمم بن نويرة في اخيه مالك

لقد كفن المنهال تحت ردائه   فتى غير مبطان العشيات أروعا

وكان المنهال قتل مالكاً والرداء هذا السيف وكانت العادة عند العرب اذا قتل الرجل منهم رجلاً مشهوراً وضع سيفه عليه ليعرف قاتله كما في اللسان ·

(ومنها) قول القائل

فقأت لها عين الفحيل تعيفاً   وفيهن رعلاء المسامع والحامي

انشده الجاحظ في البيان والتبيين والفحيل بفتح فكسر الفحل الكريم وانشد ايضاً

وهبت لنا وانت ذو امتنان   تفقأ فيها اعين البعران

وانشد ايضاً

وكان شكر القوم عند المنن   كي الصحيحات وفقء الاعين

وكلها مبنية على عادة كانت لهم ذكرها الجاحظ وهي انهم كانوا اذا بلغت ابلهم الفاً فقؤوا عين الفحل فان زادت فقؤوا عينه الاخرى قال فذلك المفقأ والمعمى · وفي مادة (عمى) من اللسان قال الازهري وقرأت بخط ابي الهيثم في قول الفرزدق

غلبتك بالمفقئ والمعمى   وبيت المحتبي والخافقات

قال فخر الفرزدق في هذا البيت على جرير لان العرب كانت اذا كان لاحدهم الف بعير فقأ عين بعير منها فاذا تمت الفان عماه واعماه فافتخر عليه بكثرة ماله قال والخافقات الرايات انتهى ما في اللسان · لكن اذا كان معنى البيت على ما فهمه ابو الهيثم كان الصواب ان يكون المفقأ بصيغة اسم المفعول لا بصيغة اسم الفاعل · وقد روى البيت في مادة فقأ (بالمفقئ والمعنى) بالنون ونقل المصنف عن الليث ان العرب كانت في الجاهلية اذا بلغ ابل الرجل منهم الفاً فقأ عين بعير منها وسرحه حتى لا ينتفع به ثم حكى عن الازهري ان معنى المفقئ في هذا البيت ليس على ما ذهب اليه الليث وانما اراد الفرزدق قوله لجرير

ولست ولو فقأت عينك واجداً   اباً لك ان عد المساعي كدارم

انتهى · قلت القول ما ذهب اليه الازهري كما سيرد عليك والظاهر ان الذي حمل الليث على ان يقع في الغلط ما فهم كون المعنى يطلق على جمل كان اهل الجاهلية ينزعون سناسن فقرته اي حروفها ويعقرون سنامه لئلا يركب ولا ينتفع بظهره يفعل ذلك الرجل منهم اذا بلغت ابله مائة ليعرف انه ممئ فظن الليث ان الفرزدق اراده بقوله المفقئ عليه وكان وجهه على ما فهم ان يرسم ايضاً بصيغة اسم المفعول كما قدمناه والصواب في معنى البيت ما ذكره صاحب اللسان في مادة (ع ا) نقلا عن ابن سيده

ان مراد الفرزدق بالمعنّى بيته في جرير المتقدم ذكره ومراده بالمعنى (ضبط بكسر النون) قوله له

معنّى يا جرير لغير شيء   وقد ذهب القصائد للرواة
فكيف ترد ما بعمان منها   وما بجبال مصر مشهرات

ونقل عن الجوهري ان مراده بالمعنى قوله

فانك اذ تسعى لتدرك دارماً   لأنت المعنى يا جرير المكلف

انتهى وعليه يجب ضبطه في بيت الفرزدق بالفتح . قال واراد بالمحتبي قوله

بيت زرارة محتب بفنائه   ومجاشع وابو الفوارس نهشل
لا يحتبي بفناء بيتك مثلهم   ابداً اذا عد الفعال الافضل

واراد بالخافقات قوله

واين تقضي المالكان امورها   بحق واين الخافقات اللوامع
اخذنا بآفاق السماء عليكم   لنا قمراها والنجوم الطوالع

الى غير ذلك من اربع قصائد منها هذه الابيات وفي هذا لا يعد البيت من ابيات العادات وانما اطلت الكلام فيه لانه كان مثار خلاف استطار شرره بين بعض الادباء بمصر

(ومن ابيات العادات) قول آدم مولى بلعنبر

وان اراد جدلاً صعب أرب   خصومة تنقب اوساط الركب
اطلعه من رتب الى رتب

من رجز يقوله لابنه انشده الجاحظ في البيان والتبيين وقد يسأل لم كانت هذه الخصومة تنقب الركب والجواب انه كان من عادتهم اذا تخاصموا جثوا على الركب

(ومنها) قول عتيبة بن بجير المازني من شعراء الحماسة

ومستنبح بات الصدى يستتيهه   الى كل صوت فهو في الرحل جانح
فقلت لاهلي ما بغام مطية   وسار أضافته الكلاب النوابح
فقالوا غريب طارق طوحت به   متون الفيافي والخطوب الطوارح

وهذا مبني على عادة وهي ان الرجل من العرب كان اذا ضل ليلاً وتحير في البلد ولم يدر اين البيوت اخرج صوته في مثل النباح ليسمعه الكلاب وتظنه كلباً فتنبح فيستدل بنباحها ويهتدي الى المكان . ومثله ما انشده ابو علي القالي في اماليه

ومستنبح بات الصدى يستتيهه فجاء وجوز الليل مضطرب الكسر
رفعت له نارًا ثقوبًا زنادها تليح الى الساري هلم الى القرى

وانشد ايضاً في معناه

ومبدٍ لي الشحناء بيني وبينه دعوت وقد طال السرى فدعاني

يعني كلباً نبح له فتبع واهتدى به فكأنه دعاه واجابه . والابيات في هذا المعنى كثيرة لا فائدة من سردها في هذه العجالة . وفي معنى المستنبح ايضاً كلب الرجل يكلب من باب ضرب واستكلب انشد ابن سيده في المخصص على الاول

وداعٍ دعا بعد ما اعترت عليه البلاد ولم يكلب

وانشد صاحب اللسان على الثاني : ونبح الكلاب لمستكلب

(ومنها) قول لبيد

ولقد حميت الحي تحمل شكتي فرط وشاحي اذ غدوت لجامها

الفرط الفرس المتقدمة السريعة والمعنى اني توشحت بلجام هذه الفرس وهو مبني على عادة ذكرها التبريزي في شرح المعلقات وهي ان الفرسان كان احدهم يلوح لجام فرسه ليكون ساعة يفزع قريباً منه وتوشحه اياه ان يلقيه على عاتقه ويخرج منه يده . ومنه قول زياد بن حمل من شعراء الحماسة

ليست عليهم اذا يغدون اردية الا جياد قسي النبع واللجم

(ومنها) قول القائل

قلبت ثيابي والظنون تجول بي وترمي برحلي نحو كل سبيل
فلأيًا بلأيٍ ما عرفت جليتي وابصرت قصداً لم يصب بدليل

لان عادتهم كانت اذا ضل رجل منهم في الفلاة قلب قميصه وصفق بيديه كأنه يومي بهما الى انسان يزعمون انه اذا فعل ذلك اهتدى . هذا ما تيسر لي جمعه الآن فان ظفرت بشيء بعد ذلك الحقته به .

القاهرة   احمد تيمور

الشرطي والورق

اللغوي اذا عثر على لفظة وقلّب في اصلها ومعناها وثقّلها بين عينيه يطيب نفساً ويثلج صدراً كأنه وقع على كنز ثمين . ومن اغرب الامور ان المستشرقين يبذلون شطراً صالحاً من اوقاتهم لتتبع معرفة اصول جميع الكلم السامية ولا سيما العربية . ولا نرى من ابناء العرب من يعنى بمثل هذا الامر . واذا رأيت نفراً يكتبون في هذا الموضوع من الناطقين بالضاد فانهم لا يخرجون عما جاء في كتب الاجداد والاوائل ولا يوردون من الكلام الا ما بلغهم الخلف عن السلف بدون ان يتعدوا كلام القائل ولا يمعنوا النظر فيه اذا كان مصيباً في رأيه هذا او مخطئاً . ترى كتبنا اللغوية الحديثة لا تخرج عن كتب الاقدمين ولا تتقدم هذا العلم قيد باع حتى لا ترى من اللغويين المستشرقين تقدماً عظيماً وطفر طفرة الاوربي الباحث .

والى متى نبقى في هذه الحالة المزرية في قالب الجمود والركود ؟ ام لم يجئ الآن الذي نكسر فيه قيود الاسر والرق ونتملص من هذه السلاسل المحكمة التي قيدتنا واستحكمت بنا الى يومنا هذا ؟ بلى . لقد حان بل لقد فات الوقت كما فاتنا في امور جمة ونحن في غفلة عنها وذهول .

على ان بعض كتاب العصر اخذوا يحتذون حذو الغربيين من المولعين باللغات الشرقية في ابحاثهم وآرائهم ومذاهبهم وهم يجارونهم وفي مجاراتهم حتى كادوا يفوقونهم في بعض الابحاث . بيد ان بعضهم غلوا فقلدوهم تقليداً اعمى حتى انهم اذا رأوا لفظاً غريباً قالوا بقول احد المستشرقين بل بمجرد رأيه وزعمه ان الافرنج اذا اوتوا القوس اغرقوا فيها وقد يكون لمن يعرفها من هدم منزلة كما لا يقول به معتوه . وهذا وهم ظاهر لكل ذي عين اذا ما اراد ان يتروى في الامر ادنى تروٍ .

هذا وها نحن نورد عدة شواهد الفاظ نقلوا معناها . وهي وان كان يطول سردها جميعاً الا انه لا يجدر بنا ان لا نذكر منها بعضاً لئلا نكون قد اخفينا الحق . فلفظة شرطي او شرطة فان اللغويين قد ذهبوا اليها مذاهب . فمنهم من قال انها عربية محض ومنهم من انكر اصالتها هنا وهناك فذكرت انها من معدن رومي او لاتيني وغيره من خالف هذه الآراء . وها نحن نورد بعض الشواهد :

قال في القاموس : « الشُرطة بالضم واحد الشُرط كصُرَد وهم اول كتيبة تشهد

الحرب ويتهيأ للموت وطائفة من اعوان الولاة م وهو شرطي كتركي وجهني · سموا بذلك لانهم أعلموا انفسهم بعلامات يعرفون بها · اه · والى هذا الرأي ذهب السيد المرتضى · فزاد على ما سبق : قاله الاصمعي · وقال ابو عبيدة : لانهم أعدوا (اي اعدوا انفسهم لذلك واعلموا انفسهم بعلامات) · وبمثل هذا القول قال صاحب لسان العرب الخ وجميع اصحاب المعاجم اللغوية بدون ان يشذ واحد منهم · وتابعهم في ذلك لغويو الافرنج أصحاب المعاجم العربية الافرنجية كفوليوس وفريتاغ وفرميرسكي ولين وغيرهم ·

على ان هذا الرأي لا يمكن ان يتمسك به اللغوي · والسبب هو : لو كان الحرف مأخوذاً من الشرط لقالوا فيه « شارط » كضابط مثلاً من الضبط · او « مشترط » كملتزم · او نحو ذلك من المشتقات الدالة على الفاعلية لا شُرطي بضم ففتح او بضم فسكون بل وكيف قالوا الشرطة · فلا شك ان اللغوي المتتبع حقائق الاصول ودقائق الفصول لا يقنع بهذا القول غير المعقول · نعم ولا جرم لمن الالفاظ الدخيلة وقد انتبه لها المستشرقون · واول من ذهب الى هذا الرأي فرنكل الالماني صاحب كتاب الالفاظ الارمية في اللغة العربية اذ قال : والاحسن اني احب ان يقول علماء العربية انها كلمة مصرية يونانية من Cohors او لعلها اليونانية (Chortho =) وتابعه في ذلك الاب لامنس اليسوعي في كتاب الفروق اذ يقول : « من المحتمل ان يكون معرباً عن Cohors مثل كردوسة » ·

قلنا : وهذا ايضاً لا يمكن ان يكون صحيحاً لان هذه اللفظة الاجنبية ان كانت مصرية يونانية او رومية محضة فهي لا تدل الا على طائفة او جماعة من العسكر او الجند ولا ترد بمعنى المفرد · والحال ان صح هذا الكلام عن الشرطة فلا يصح عن الشرطي فيجب ان تكون اللفظة الاصلية المنقولة عنها مفردة ليصح فيها التعريب او النقل عنها بصورة المفرد · وهذا يصح اذا قلنا انها تعريب اليونانية (Stratiwthe) وبالفرنسية (Stradiot او Estradiot) وهي بمعنى الشرطي العربية كما ان الشرطة هي تعريب (Stratia as) ويراد بها كتيبة الزحف او الجيش الزاحف الذي يشهد الحرب ويتهيأ للموت · او من (Stratos) بمعناها

ومن هذا القبيل كلمة ورق والرقة المراد بهما الدراهم المضروبة · فقد قال الفيروزابادي : الورق مثلثة · وككتف وجبل : الدراهم المضروبة ج اوراق ووراق كالرقة ·

وزاد صاحب التاج : قال ابن سيدة : وربما سميت الفضة ورقاً . ويقال اعطاه الف درهم رقة لا يخالطها شيء من المال غيرها . وقال ابو الهيثم : الورق والرقة : الدراهم خاصة . وقال شمر : الرقة : العين ويقال هي من الفضة خاصة . ويقال الرقة الفضة والمال . عن ابن الاعرابي . . . الى آخر ما هناك من الكلام الدال على ان الورق عندهم من الاصل العربي الفصيح الصريح حتى انه لا يخطر على بال لغوي العرب انها دخيلة في لسانهم . ولا مهم في ذلك لغويو الافرنج ايضاً اصحاب المعاجم العربية ولم يرتابوا في عجمتها او في عربيتها اذ قلدوا العرب في اغلب الاحيان عند تأليف المعاجم الى لغتهم .

واول من نبه عجمتها في العربية فرنكل اللغوي الالماني المذكور اذ ذكر انها من الارمية ([illegible]) او من الحبشية « رقة » . قلت : ونسبة كلتا اللغتين لم ترد اللفظة في الاصل على ما يقال انها [illegible] قول وضعه لا يحتمل ان [illegible] اخذا هذا اللفظ عن العرب انفسهم .

وممن قال بعجمتها ايضاً الاب لامنس اليسوعي في كتاب الورق ص ٢٦٠ سبقها حاشية . وهذا نص كلامه : « وفي (اي الورق بمعنى الدراهم المضروبة) ثلاث لغات اخرى (كذا) والاصح اربع لغات اخرى (الورق . ورق . ورق) وزد عليها : ورق ككتف) ولا اصحه عربياً ولم يوجد في الكلام القديم » . اه . (كذا . ولا نرى ما قال هذا القول . لان لفظة الورق وردت في شعر ثلمة السدوسي وفي الحديث وفي شعر خالد بن الوليد وفي كلام كثيرين من الاقدمين عند مطالعة دواوينهم .)

اما الصحيح عندي ان الورق من الفارسية تعريب « برة » وهي بالفارسية مثلثة [illegible] في الاول ثم راء وفي الآخر هاء غير ملفوظة . ويقال فيها ايضاً پاره ومعناها [illegible] . ويراد بها مطلق القطعة وتخصص بقطعة الفضة المضروبة كما هو معنى البارة عندنا قبل خمسين سنة . ثم عوض عن البارة القطعة بارة نحاسية وبقي الاسم عليها وان تغيرت المادة التي احدث منها .

هذا وانت تعلم ان الهاء الفارسية في الآخر تنقل الى القاف او الكاف او الجيم او التاء في العربية . وقد صرح بذلك اغلب المعربين كما في [illegible] وودعة [illegible] ورق [illegible] واصلها بالفارسية [illegible] ونيزه واما الباء المثلثة العجمية الفارسية فتكون اما زنبقة . واما مجرة واما [illegible] وجهة .. فان كانت زنبقة تنقلب الى الواو بالعربية

او الباء الموحدة التحتية كما في باوج وواشق اصلها باوج وباشه واذا كانت مفخمة فتكون فاء في العربية كما في فارس واصفهان وان كانت بين المفخمة والمرققة فهي تكون تارة باء وطوراً واواً واخرى فاء مثل قفان ويقال فيها قبان وقفان . قال الاصمعي : قبان بالباء التي بين الباء والفاء اعربت باخلاصها فاء وقد يجوز اخلاصها باء لان سيبويه قد اطلق ذلك في الباء التي بين الفاء والباء (التاج في قفف) ومعنى قفان كل شيء : جماعه واستقصاء معرفته .

وعليه قالوا في پره : ورق . وفي پاره : بارة . لكن لما توهم العرب ان الورق مشتق من ورق بل وانها مصدر ورق اجازوا فيها الوجهين فقالوا فيها ورق ورقة كما قالوا وعد وعدة .

واغرب من هذا انهم جمعوا رقة على رقين كما قالوا في إرة : إرين . وقوم من العرب توهموا الجمع مفرداً ووزنوه على فعيل بفتح الاول فقالوا الرقين وفسروه بالدرهم والرقيم ولعل الرقيم ورد بهذا المعنى ايضاً تصحيفاً للرقين بالنون وهم يكثرون مثل هذا الابدال في آخر الالفاظ كقولهم : الايم والاين . الغيم والغين . اسود قاتم وقاتن . الحزم والحزن . البنان والبنام . الغم والغمن . ومثل هذه الالفاظ تعد بالمئات .

فانظر حرسك الله كيف يتلاعب العرب بالالفاظ وكيف تتسع اللغة عندهم . وكيف يبعد مجرى الكلام عن ينبوعه ومصدره ويكاد ينسيك الاصل الذي أخذ عنه . كل ذلك من الاسرار الغامضة يتلذذ بالاطلاع عليها كل من له ذوق بهذه اللغة الشريفة البعيدة الغور

واذ قد اطلعت على اصل لفظة الورق وعلى انها من الفارسية علمت علم اليقين ان معناها كل قطعة من قطع المسكوكات كما تقول الفرنساوية pièce de monnaie ثم اطلقت على دراهم الفضة او على مطلق الدراهم ان فضية او ذهبية او نحاسية بشرط ان تكون قطعة معدن مضروب لا غير .

هذا ما اردنا ايراده في هذا الباب ولنا عدة قواعد من هذا القبيل

بغداد ساتسنا

رسائل الانتقاد

تابع لما سبق

قال ابو الريان ومن شر عيوب الشعر كلها الكسر لانه يخرجه من نعته شعرا وليس مما يقع الا من نعت بشاعر . فاما الاقواء . والايطاء . والسناد . والاكفاء (١) . والاجازة . وصرف ما لا ينصرف فكل ذلك يستعمل الآن والسالم من جميع ذلك اجمل وافضل قال ومن عيوبه المشهورة مجاورة الكلمة ما لا يناسبها ولا يقاربها مثل قول الكميت

حتى تكامل فيها الدل والشنب (٢)

وكما قال بعض المتأخرين في رثاء

هلك غيث في حفرة   تراك فيها نعيم وحور

وان كان النعيم والحور من مواهب اهل الجنة فليس بينهما في النفوس تقارب . ولا ملاءمة تراكم مما يجمع بين الحور ولا النعيم . ومثله قول بعضهم

والله لولا ان يقال تغيرا   وصبا وان كان التصابي اجدرا
لأعاد تفاح الخدود بنفسجا   لثمي وكافور الترائب عنبرا

فالتفاح ليس من جنس البنفسج لان التفاح ثمرة والبنفسج زهرة . وقد اجاد في جمعه بين الكافور والعنبر لانهما من قبيل واحد . ولو قال

لأعاد ورد الوجنتين بنفسجا   لثمي وكافور الترائب عنبرا

لأجاد الوصف . واحسن الرصف . لكون الورد من قبيل البنفسج . فهذا النوع بالنقد . وهذا الشرع المعتمد

قال ابو الريان وللشعراء المطبوعين سقطات مختلفات في اشعارهم اذكر منها في اشياء استدل بها على ان الحذق لا يخلو من الزلات ولا الاتقان من الهنات . كان بشار بن برد سقطات شعره فيه مع كثرتها . ويسير قليلها كثيرها . وكذلك كان حبيب ابن اوس الطائي اذا سمعت جيد شعره كذبت ان رديئه له . واذا صح عندك ان ذلك

---

(١) قال الخليل : الاقواء ان يكون بعض القوافي مرفوعا وبعضها منصوبا او بعضها مخفوضا . والاكفاء ان يكون بعض القوافي على حرف وبعضها على حرف آخر . والايطاء اعادة القافية من غير اختلاف المعنى (كتاب خاص الخاص طبعة تونس ص ٥٩) .

(٢) وبكتاب الصناعتين :   حور تكامل فيها الدل والشنب

الردي في الصمت ان يجيدهما جميعا · قال ومما يعاب من الشعر الافتتاحات الثقيلة مثل قول حبيب اول قصيدة

هن عوادي يوسف وصواحبه   فعزماً فقدماً ادرك السؤل طالبه[1]

ومثل قول ديك الجن اول قصيدة

كأنها يا كأنه[2] خلل الخـ   ـلة وقف الهلوك اذ بغما

فابتدأ هو وحبيب بمضمرات على غير مظهرات قبلها وهو رديء · قال ويعاب ايضاً الافتتاحات المتطير بها · والكلام المضاد للغرض كابتداء قصيدة ابي نواس التي انشدها الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي يهنيه ببنيانه الدار الجديدة فدخل اليه عند كمالها وقد جلس للهناء والدعاء وعنده وجوه الناس فأنشده

أربع البلى إن الخشوع لبادي[3]   عليك واني لم أخنك ودادي

فتطير الفضل من ذلك ونكس رأسه وتناظر الناس بعضهم الى بعض ثم ادى ختم الشعر بقوله

سلام على الدنيا إذا ما فقدتم   بني برمك من رائحين وغادي

فكمل جهله وتم خطأه وزاد التطير المتوقع لخطوب سريعة توقع · واصاب النفوس المتوجعة بذكر الموت شدة توجع · وأراد ان يمدح فهجا · ودخل لبسر فنجا فقال

وقريب من هذا ما وقع للمتنبي في اول شعر أنشده كافوراً

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا   وحسب المنايا ان يكن امانيا

فهذا خطاب بالكاف قبيح ولا سيما في اول لقية · وفي ابتداء واستعطاف ورقية · وفي هذا البيت غير هذا من العيوب سنذكره بعد

ووقع مثل هذا من قبح الاستفتاح في عصرنا وذلك ان بعض الشعراء انشد بعض الامراء في يوم المهرجان فقال :

---

(١) قال ابو هلال العسكري (كتاب الصناعتين) لما نظر ابو العميثل في قصيدة ابي تمام

هن عوادي يوسف وصواحبه   فعزماً فقدماً ادرك السؤل طالبه

استرذل ابتداءها فأسقط القصيدة كلها حتى صار اليه ابو تمام ووقفه على موضع الاحسان منها فراجع عبد الله بن طاهر فأجازه

(٢) روى ابن رشيق في العمدة — ما كأنه بدل يا كأنه — (٣) جاء في ديوان ابي نواس «البلا» عوض البلى · «ولباد» بدل لبادي —

لا تقل بشرى ولكن بشريان   وجه من أهوى ووجه المهرجان[1]

فأمر باخراجه واستطال بشناعته وحرمه احسانه قال ابو الفرج ولو كان هذا الشاعر حاذقاً لكان اصلاح هذا الفساد ايسر الاشياء عليه وذلك بان يعكس البيت فيقول

وجه من اهوى ووجه المهرجان   اي بشرى هي لا بل بشريان

قال — ويقبح جداً ان يؤتى بكلمة القافية مقحمة لا ترتبط بما قبلها من الكلام وانما هي مفردة لحشو القافية كقول بعضهم

[illegible] التي برغم اعاديك   وابقاك صالحاً رب هود[2]

فأنت ترى [illegible] هذه القافية والله تعالى رب جميع الخلق وكل شيء فخص هوداً عليه السلام وحده لضعف نقده وعجزه عن الاتيان بقافية تليق وتحسن

قال — ويقبح ايضاً الخطاء في التشبيب بل الطيب والتفجر بضده · ولفظ الاعتاب في صده · كقول ابي نواس

أجارة بيتينا ابوك غيور   وميسور ما يرجى لديك عسير[3]
فان كنت لا حلاً ولا انت زوجة   فلا برحت منا عليك ستور
وجاورت قوماً لا تزاور بينهم   ولا قرب الا ان يكون نشور

فاسمع باوحش من هذا النسيب · ولا اخشن من هذا التشبيب · وذلك قوله ان تكوني لي زوجة ولا صديقة فلا برحت منا ستور الحجاب عليك ولا كان جارك ما عشنا نحن الا الموتى الذين لا يتزاورون ولا يجتمعون الى يوم النشور على ان كلامه ليشهد عليه بانه شاك وانما المعروف في اهل الرقة والظرف · والمعهود من اهل الوفاء والعطف ·

---

(١) ورد عجز البيت في كتاب الصناعتين هكذا: غرة الداعي ويوم المهرجان وقائل البيت ابو مقاتل انشده الداعي فاوجعه الداعي ضرباً ثم قال — هلا قلت:

ان تقل بشرى فعندي بشريان

(٢) قائل البيت ابو عدي القرشي ورواه قدامة (نقد الشعر ص ٨٩) هكذا

ووقيت الحتوف من وارث وا   ل وابقاك صالحاً رب هود

(٣) هذه الابيات من قصيدة فريدة مدح بها ابو نواس الخصيب بن عبد الحميد العجمي ثم المرادي امير مصر · وقد يوجد بعض اختلافات في روايتها منها في البيت الثاني : خلماً وهو الصديق والصاحب بدل حلاً · و[illegible] بدل زوجة · ودوني عوض منا — وفي البيت الثالث . وصل بدل قرب

ان يقدموا احبابهم بالنفوس ، من كل مكروه وبوس . فأين ذهبت ولادته العصرية وآدابه البغدادية ، حتى اختار الغدر في اوفاه ونحت به طباعه الى اجفاء الجفاء . فاقرأ هذا واياك ان تعمل به .

قال ومن عيوب الشعر السرق وهو كثير الاجناس ، في شعر الناس . فمنها سرقة الفاظ ، ومنها سرقة معان ، وسرقة المعاني اكثر لانها اخفى من الالفاظ . ومنها سرقة المعنى كله ، ومنها سرقة البعض . ومنها مسروق باختصار في اللفظ وزيادة في المعنى وهو احسن المسروقات . ومنها مسروق بزيادة الفاظ وقصور عن المعنى وهو اقبحها . ومنها سرقة محضة لا زيادة ولا نقص والفضل في ذلك للمسروق منه ولا شيء للسارق كسرقة ابي نواس في هذه القصيدة التي ذكرناها عن ابي الشيص بكماله .

قال ابو الشيص

وقف الهوى بي حيث انت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم [1]

فسرقه الحسن بكماله فقال

فما جازه جود ولا حل دونه ولكن يصير الجود حيث يصير [2]

فهذا هذا الى ان بيت ابي الشيص احلى واطبع ومع حلاوته جزالة . وقد ذكر عن الحسن انه قال ما زلت احسد ابا الشيص على هذا البيت حتى اخذته منه وسرقة الماهر سقوط همة . وبهذه القصيدة يناضل اصحاب الحسن عنه ويخاصمون خصماءه مقرين بان ليس له افضل منها . ولا لهم الى سوى هذه القصيدة معدل عنها . فقس بفهمك واعمل فكرتك في ما وصفناه من ابواب السرق ما وجدته في اشعار لم اذكرها يظهر لك جميع ما وصفناه . ويبدو لك جميع ما رسمناه قال ومما يقع في عيوب الشعر ويغفل الشاعر عنه ويجوزه الامر فيه لصغر جرم العيب وسلامة اللفظ الذي اخفى فيه ثم يكون ذلك سبب غفلة النقاد ايضا عنه مثل قول المتنبي

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا

فضمن هذا الكلام في انه انما شكا داءه ، ووصفه بالعظم فعاد شاكيا نفسه وجعلها اعظم الداء لانه اراد كفى بدائك داء فغلط وقال كفى بك داء فصار كفى بالسلامة

---

(١) قصيدة ابي الشيص التي طالعها هذا البيت تعد من ابلغ ما قيل في التشبيب

(٢) ورد عجز البيت في نسخة خطية من ديوان ابي نواس على هذه الصورة :

ولكن يسير الجود حيث يسير

داء فالسلامة في الحياة يريد طول البقاء سبب الفناء · وقال الله تعالى وكفى بنا حاسبين فالله هو اعظم شهيد فجعل الشيء نفسه اعظم الداء ولم يرد الا استقصاء دائه واصلاح هذا الفساد · وبلوغه الى المراد · ان يقول

كفى بالمنايا ان تكن امانيا   وحسبك داء ان ترى الموت شافيا

فيعود المستمع كارها تزول خشونة ندائه · وشدة جفائه · اذ خاطب الممدوح بالكاف فجعله داء مضنيا في اول كلمة سمعها منه · وهذا دأب خواص الناس وكثير من عوامهم في مثل هذا المكان فهم يقولون عند مخاطبات من يعرفهم مما يجب ذكره قلت الابعد ويا كذا اوكذا للابعد

ومن عيوب هذا القسم ايضا ان قائله قصد الى سلطان جديد والى مكان يحتاج فيه الى التعظيم والتفخيم وقد صدر عن ملك لو به ادعي سيف الدولة وأغناه بعد فقره · وشرفه ورفعه · وأدنى موضعه · فورد الى كافور هذا في مرتبة شريفة · وحظة منيفة · فجعل تجهمه يصفه في اول بيت تقيه به انه في حالة لا يرى معها الشفاء · او يرى المنية اعظم امنية · وعلم كافور بذكائه ووصول أخبار الناس اليه انه في حالة خلاف ما قال وانه كفر النعمة من المنعم عليه · وانه ان جميع ما عامله به من الجاه الواسع · والغنى القاطع حقير لديه · صغير في عينيه · فعلم كافور في هذا الوقت انه ممن لا تزكو لديه الصنيعة وان عظمت · ولا تكبر في عينيه المواهب وان جسمت · ولم يكن في خلق كافور من الصبر الى اتساع البذل · ولا من الرغبة في اهل الآداب والفضل ما عند سيف الدولة من ذلك فرجع عنه بعد رغبة وعلله بالقليل · وشاغله بالجزيل · ورأى المتنبي ان الاسود ليس له في قلبه من الحب والقرب ما له عند سيف الدولة فما يدل عليه ولا اكثر من التعتب والعتاب ما يعطفه عليه فضاع وضاع · وكان يتوقع الايقاع · واكفران النعم شؤم الجاه وركوب ظهر الغرب واقل ما يعترف لسيف الدولة بالذنوب · وكان خطه وشعره شريفين · وعقله ودينه ضعيفين · ومع ذلك سقطاته كثيرة الا ان محاسنه اكثر واوفر · والمرء يعجز لا المحالة · وكان يميل الى تعقيد الكلام ويعتمد على علمه بالحجة فيقول من ذلك ما يعيب به قائله

فتبيت تسئد مسئدا في نيها   اسآدها في المهمه الانضاء

ويقول في المدح

أنى يكون ابا البرية آدم   وأبوك والثقلان أنت محمد

ويقول في بيت آخر من قصيدة أخرى يمدح بها والبيت لا يتعلق بشيء مما قبله فيما يظهر ولا فيما بعده بشيء

كأنك ما جاودت من بان جوده … عليك ولا قاومت من لم تقاوم

ومثل هذا كثير وهذه الاجناس من ابيات وان ظهرت معانيها بعد استقصاء . وأطاعت غوامضها بعد استعصاء . فهي مذمومة السقطات ان اطلعت منها على اجزل الافادة فكيف اذا حصلت منها على السلامة بلا زيادة . وكان ايضاً يغفل عن اصلاح اشياء من كلامه في قرب ذلك الاصلاح من الفهم . مثل قوله يرثي أخت سيف الدولة

يا أخت خير أخ يا بنت خير أب … كناية بهما عن أشرف النسب

يقول يا أخت خير وبنت خير كناية عن اشرف النسب والكناية لا تكون الا لمثل تتسع فيها الفهوم لان الكناية ستر وتعمية فاما مثل شرف النسب يورى عنه تورية المثالب . ويكني عنه والتصريح به من المفاخر والمناقب . وقد غفل عن اصلاح هذا بلفظ فصيح . ومعنى صحيح . قد كاد يبرز من الجنان . الى طرف اللسان . وهو لو فطن اليه

يا أخت خير أخ يا بنت خير أب … غنى بهذا وذا عن أشرف النسب

قال ابو الريان وهذه الجملة التي أثبت لك فيها ما دخل على الشعراء المجيدين من التقصير والغفلة والغلط وغير ذلك كافية ومغنية عن ايراد سوى ذلك وان لقنتها بجودة بحث وصحة قياس . لم تحتج الى كشف عيوب اشعار الناس . ولعل قائلاً يقول مال الى هؤلاء وترك سواهم الجهل من تركت . والتفضيل من عنه سكت . فقل لمن قال ذلك الامر في خلاف ما ظننت لم أذكر الا الافضل فالافضل . والاشهر فالاشهر . اذ كانت أشعارهم هي المروية . فالجمهور وعليهم هي القريبة . فقد نقلته على من ميلي عليهم الى ميلي بالحق اليهم قال ابو الريان فاما ما استحسن فتبيينه لك يطول ويتسع لكثرته فلا يمكنا ايراده ولكن ما سلم من جميع ما اوردناه فهو في حيز السالم . ثم تتسع طبقات الجودة فيه . واحسن منه ما اعتدل مبناه . واغرب معناه . وزاد في مجودات الشعر على سواه . ثم يتدرج الادون فالادون بمقدار انحطاطه الى حيز السلامة . ثم لا مدح ولا كرامة

قال محمد فقلت لله درك يا ابا الريان فما الين جانبك . وما أقرب نائبك . وما انجح مطالبك . وما اسعد صاحبك . فقال انجح الله مطالبك . واغنى مآربك . وصفى من القذى مشاربك . وبث في الحواضر والبوادي مناقبك

تمت المقامة المعروفة برسائل الانتقاد
بلطف الفهم والاقتصاد
والحمد لله اولاً وآخراً وصلاته على نبيه سيدنا محمد وآله وسلامه

نفس المرأة

انصرفت افكار الباحثين الى درس طبائع المرأة وميزاتها الجنسية واخلاقها الخاصة حتى اذا ما كانت من خوض المرأة مباراة الرجل في ميدان الاقتصاد وتشوفها بعد ذلك الى مشاركته في الحقوق السياسية تحول في هذا البحث جماعة من اجلة الاعلام عنوا بتمحيصه وتجريده عما علق به من خرافات الاقدمين واوهامهم جارين في اسلوبهم على لا يدع مجالاً للظن والشبهات اللاحقة بآراء الاقدمين والشاذة في الحقيقة حذراً من الغلو ويعلي بالمرأة الى مستوى الملائكة او يحطها الى دركات الجحيم ومن الغريب انا لا نجد باحثاً تصدى لموضوع الا زعم انه بين حقيقة المرأة وكشف عن اسرار نفسها على ان معظمهم جهلوا طبائعها الاصلية وخواصها المميزة لجهالتهم بمزاياها المستمدة المقدمات والنتائج ولم يفرق بعضهم بين صفاتها الخلقية وبين الصفات العارضة التي اكتسبتها في احوال خاصة

وربما اتفق علماء النفس ان رأوا المرأة في حال الضعف او الخوف او الاحتيال او الرياء فزعموا ان هذه الصفات من طبائعها الخلقية ونقلت هذه المزاعم الى الاخلاف في الاجيال التالية فهي لا تزال تستحكم او تحجب اليوم طبائع في المرأة اذ ان عليها سمة الشذوذ والارتقاء لفعلها او نحوها . ولقد مرت في المرأة عصور وهي بعيدة من الحياة الفكرية والعملية تزاد في الطاعة العمياء لوليها فكانت اشبه بالاطفال منها بالانسان تعيش والمرأة تبدلت وفي معظم علماء النفس والقين عند الآراء القديمة يحصرونها ولبقة تابعة حياتها لخدمة الرجل

خلعت المرأة من اسار الجمود وشاركت الرجل في الحياة العملية وتركت في زوايا القرون صفاتها القديمة وتحلت باخلاق جديدة فلا تصح فيها آراء الغالين في احتقارها ولا المغرقين في امتهانها

ولا بد للباحث ان يتساءل هل للمرأة صفات نفسية خاصة بها تميزها عن الرجل وما هي تلك الصفات الخاصة التي لا يؤثر فيها مركزها الاقتصادي والاجتماعي ؟

يقول علماء الحياة باختلافات جوهرية بين الخليتين اللتين تؤلف الحياة من اجتماعهما ولمن ترجع الحياة متوقفة حسب الخلية الذكرة او الانثوية فهي مدفوعة بشدة الاحداث

بقوتها العضوية وهذه الصفات تبدو آثارها في الاحياء وكلما ارتقى الجنس البشري كانت الخواص الجنسية اوضح اثراً في تركيب المرأة وطباعها فتميل بها الى السكون والدعة والراحة بينما نرى الرجل جلداً على مشاق الحياة يتجشم الاخطار ويخوض غمار الجهاد ويرى كل ما حوله يدفعه الى المناجزة والاقدام

واذا سلمنا بآراء علماء الحياة والنفس اتضح لنا سبب تعلق المرأة باخلاقها الخاصة واشغالها في المجتمع مركزها الخاص فللرجل الحرب والجهاد والمغامرة والنشاط والحزم وللمرأة العطف والصبر والهدوء الا انها تشذ في بعض الاحيان فتفوق الرجل حزماً وعقلاً وقد يوقد الرجل نار الثورة فتسعى في اخمادها وتهدئة روعه ويحملها ميلها الى السكون النفسي على الاعتصام بحبل الدين وهي اقل اقداماً على الجرائم من الرجل [illegible] من ضحية القوى الجسدية والعقلية ويزعم علماء النفس ان المرأة ضعيفة المدارك مما يحملها على الاستسلام لعواطفها فهي غريبة عن الحرب والعلم والفنون وسنرى فيما يلي فساد مزاعمهم في هذا الصدد

سار علماء النفس والحياة على اسلوب واحد في ابحاثهم فأدت بهم الى نتائج متشابهة فقالوا ان المرأة اليوم هي ذات المرأة في القرون السالفة ويتبين لك خطل آرائهم من عرضها على احوال الحياة الحقيقية واذا تتبعنا ارتقاء العالم الحيواني وضحت لنا المناقضة بين آراء الباحثين في المرأة وبين حالتها الحاضرة على اتم اشكالها

المرأة المحاربة — نتقدم الى البحث في احدى صفات المرأة التي قالوا بها من الجبن وصغر النفس ونتخذ هذه الصفة اساساً لبحثنا فقد اجمعت آراؤهم على ان المرأة لا تستطيع القتال والذود عن الوطن فلما ارتفع صوت النساء المطالبات بالحقوق دافعها المنكرون عليها بتوهم انها لا تستطيع مشاركة الرجل في الحرب والذب عن حياض الوطن على انا اذا امعنا النظر وجدنا هذه الصفة عارضة لا جوهرية وليست هي من صفاتها الخلقية التي لا تتغير فنساء الحبش يقاتلن مع ازواجهن جنباً الى جنب راكبات على الجمال او الخيل ومتقلدات سلاح الرجال ولا ينقصن عنهم شجاعة واقداماً وصبراً على المشقات ويقول الرحالون ان النساء يتدربن على فنون القتال فينشأن شديدات القوى وقد اكسبتهن ممارسة الحروب بطشاً لا يتصف به سوى شجعان [illegible]

ويقول تاسيت ان جيوش الجرمانيين القدماء كانت تزحف الى القتال والنساء في طليعتها ويقول مومسن بمثل ذلك عند الاقدمين فقد كانت نساؤهم يمتحن

الحصون ويقتلن [illegible] في البحر.

وأكد جماعة من السياح ان النساء الافريقيات [illegible] في قبائل بين الامازون شاركن الرجال في القتال [illegible] بمصر آخرون مثل ذلك عن نساء البورنيين والكوليه [illegible] موراس

وذكر آخرون ان نساء الاتيل يتمرن بالفنون الحربية حتى يفقن الرجال. وقد قابل كولومبوس الامريكي [illegible] نساء الامازون [illegible] وفي امريكا الجنوبية يقاتلون احيانا كثيرة من [illegible] النساء المحاربات

وشاهد الرحالة [illegible] النساء في [illegible] عدد نساء من الامازون يقاتلن [illegible] مع الرجال في الحروب

وفي داهومي جيش من الامازونيات مؤلف من صنفين احدهما الصنف العامل وعدده ثلاثة آلاف والآخر [illegible] في ايام العامة [illegible] حربية سديدة [illegible] على مقاساة الآلام [illegible] بالشجاعة والبأس [illegible] الاخطار [illegible] سنة ١٨٦١ [illegible] دهشة واعجاباً مقدام الملك [illegible] الامازونيات [illegible] وكانت القواهر من [illegible] سوق [illegible] حتى [illegible] بالنساء ولكن الملك [illegible] حتى ظفرن بالاردن

وعند [illegible] سنة ١٨٩٢ [illegible] الرجال [illegible] وصحت شجاعتهن [illegible] وسارت [illegible] وطردت منهن الآتية [illegible] لا تقل عن مجد [illegible] الرجال

ان عهد [illegible] الكثيرة [illegible] الصبيات [illegible] الروس [illegible] والقابل [illegible] ذلك من [illegible]

ولا [illegible] المستطاعة [illegible] القتال ولا سيما في

الحروب الحاضرة وقد اصبح معظم الاعتماد فيها على الحذر والتيقظ والحكمة ففي وسع المرأة ان تشارك الرجل في الدفاع الوطني ولا تقل عنه جلداً واقداماً لولا ان ذلك يعوقها عن واجباتها المنزلية وانجاز وظيفة الام

قابلية الانفعال في الجنسين. — كتبت الوف من المجلدات في بسيكولوجية المرأة تراوحت بين الاغراق في تعظيم « الشهيدة الابدية » وامتهان « عدوة الرجل القديمة » ولم يشبه مؤلفوها انهم رسموا خطوطاً لصورة المرأة في عصر او عصور سالفة واغفلوا وصف امرأة اليوم والغد فرماها بعضهم بكل شائنة وقال الآخر انها ادق احساساً وارق شعوراً من الرجل وممن ذهب هذا المذهب الفيلسوف اوغست كونت فقال «تؤثر المؤثرات الطبيعية في المرأة بسهولة وشدة» وقد برهن على ذلك كثيرون من الكتاب وترى انفعالها واضحاً في جميع الصروف فانها تقطب جبينها وتغضب وتحتقر ويؤلمها الاضطراب وتنقاد لعواطفها فهي في ذلك اقرب الى الطفل منها الى الرجل وسرعة التأثر في المرأة تجعلها طوراً ارق وطوراً اقسى من الرجل ثم ان العواطف يزول اثرها من نفسه لانه عرضة لتقلباتها فالحزن يعقب السرور والبشر يتلو الاسى كما تتوالى السحب في السماء ولكن طبيعة المرأة الساكنة اذا لامستها العواطف تركت فيها اثراً يصعب زواله فترى عواطف الحب والبغض والرحمة والقسوة ارسخ في المرأة مما هي في الرجل

على انا نرى الرجل في بعض اطواره لا يقل عن المرأة في الاستسلام للعواطف ويرجع ذلك الى احوال البيئة والاخلاق الشخصية لا الجنسية

الحب ريحان حياة الرجل غير انه حياة المرأة ذاتها ولكن الا تفعل العواطف في الرجل فعلها في المرأة؟ قال لاكوردير في كتاب بعث به الى احدى صديقاته «يخطئ من يقول ان الرجل يعيش بالعقل والمرأة بالعواطف فالرجال يحيون ايضاً بالعواطف الا انها راقية تنزل لديكن منزلة العقل»

وبعض علماء النفس ينكرون على المرأة هذه المزية ويعزون اليها نقصاً يتناول مشاعرها كافة ويصفونها بتطرف يسير بها الى قمة المجد او يهبط بها الى دركات الدمار فهي مفرطة في الحالين والانانية والغيرية على اشدهما عند المرأة لان فطرتها الثائرة ترمي بها الى الغايتين المتناقضتين

وخالف هؤلاء نفر ادعوا انها ولعة بالاعتدال مجبولة عليه بما لها من سكون الطبع فهي ثابتة في عملها وافكارها تقاوم العوامل التي ربما اخرجتها عن سجيتها الاولى

ينكرون عليها حق الحكم لانها تنقاد في ذلك لعواطفها وحاستها الخرقاء

ويوافقهم الآخرون على هذا الرأي مستندين في ذلك الى مقدمات أخرى انهم يقولون ان اخلاق المرأة السكونية يتغلب على [illegible] اجتماعي

تلك هي آراء الفلاسفة باختلاف وجهة النظر ولا شك ان هذه الخواص ليست جنسية وانما هي شخصية واذا عاش الرجل في بيئة تشبه بيئة المرأة لا يلبث ان يتخلق بهذه الاخلاق لان قابلية التأثر لاحد لها وهذه الصفات انما هي نتيجة احوال المحيط

ذكر هربرت سبنسر ان المرأة تفوق الرجل قسوة في البلاد التي يقتل اهلوها الاسرى وقبيلة الداكوتاس تسلم الشيخ الى النساء يقتلنه بتعذيب ويقول ما كسيم دي كامب ان النساء اثناء ثورة الكومون فقن الرجال فظاعة وشراسة

ومع عاطفة القسوة يتلألأ الحنان الاشرف فقد عطفت نساء البرابرة على الرحالين والمهاجرين فاظهرن ضروب اللطف والرقة والعطف على ما شهدها الجوابون [illegible] وليفنستون وغيرهما

والباحث المنصف يجد للنساء مواقف مشهودة في الاخطار ومواقف محمودة في تسكين ثورة الرجال فقد كن يمضين في صفوف الثوار لا يبتغين [illegible] السكينة في النفوس فحفظ لهن التاريخ صفحات مجيدة

المرأة والديانة — رقة شعور المرأة جعلتها متدينة في جميع العصور والشعوب وهي اسرع تلبية لدعاة المذاهب فقد وجد هؤلاء بين النساء مؤمنات مخلصات كان لهن في ثبات الديانات ونشرها تأثير شديد

خضوع المرأة الدائم لسلطة الرجل سهل عليها الاعتقاد بعناية إلهية سامية لا تزال تفرج الروع الشاكي في الناس مصدر الرحمة الازلي وينبوع السلام الابدي وادى بها ذلك الى الاعتقاد بتفوق كل من يسودها وكيف لا تعتقد ذلك وهي تتوقع منه المكافأة على ما تتجشمه من المتاعب في هذا العالم فهي مسوقة الى التدين لا عن ميل فقط بل عن حاجة وتربيتنا الانكليزية زادتها الحصانة بالايمان لانه يقول بالله قادر يحبها ويرعاها

وهي لا تشعر بخوف الله فقط بل تشعر بحبه وتبتهل اليه في النوازل الشداد فيشرق الظلمات المطبقة بنور رجاء يقصر به عيشها وكلما قلت مطالبها في الحياة زادت ايمانها كما يقل الدين وكثيراً ما تنتابها اضطرابات دينية تفقد صوابها

ولا يجوز لنا الاغضاء عن ان الرجل هو الذي اوجد في المرأة تلك الفطرة ودعا الى الدين فأجابته مذعنة شأنها في الخضوع لما تعتقد به العظمة والتفوق فهي تتلقى من افواه الاحبار مبادئ الدين وتستعذب سلطته لانه يمنحها غبطة دائمة ويمني آمالها بحياة مستقبلة تمحو جميع آلامها الحاضرة ولم يخطر لها قط ان ترغب عن ذلك الجمال الفتان والأمل المتلألئ

وعلينا ان نفرق بين العبادة والتدين فشعور الرجل بالدين يختلف عن شعور المرأة بذلك الدين وبين الفتى والفتاة والاخ والاخت اتباع المذهب الواحد اختلاف جنسي في الايمان وتلازم العجائز المعابد واحداث في الصلاة غبطة ونعيماً ومن في ذلك اقرب الى الرجال الطاعنين في السن منهن الى اخواتهن في ريعان الصبا وكلما تعمق الباحثون في درس هذه العاطفة عند المرأة وجدوها منزوية عن المركز الذي تشغله في المجتمع الحاضر فهي اقوى استمساكاً بحبل الدين واشد خضوعاً للعقائد والافكار. حفظت المرأة عاداتها ايام حالتها الاجتماعية والادبية وتلك العاطفة الدينية ليست سوى نتيجة اعمال الرجل في الوف من السنين

هل المرأة ارق شعوراً من الرجل . منذ خمسين سنة قام جدال بين علماء النفس في انحطاط احساس المرأة فذهب لومبروزو وتلامذته الى ضعف شعورها وخالفه في رأيه مانتيغازا ومن تابعه وينطوي في هذين المبدأين العامين نظريات ثانوية لا تكاد تحصى وانما نأسف عن اقتصار الباحثين على بعض الموضوعات المحدودة واوسع مجال الاختلاف ان التجارب اجريت في ممالك مختلفة ومما لا ريب فيه ان للبيئة وطرز المعيشة تأثيراً في الشعور فالبرابرة اقل شعوراً بالالم من المتمدنين وهؤلاء متفاوتون ايضاً في شعورهم فان ابناء الطبقات العالية المترفين من ذوي الرفاهية واناقة العيش يشعرون بالالم فوق شعور المزارعين ومتى ثبت ذلك لم يسعنا ان نعزو التفاوت في الشعور الى الجنسية بل الى احوال الحياة التي تفرق بين الجنسين

قلنا ان بين العلماء اختلافاً كبيراً في ارتقاء حواس المرأة وانحطاطها وقد استشهد القائلون بانحطاطها على زعمهم بانها لا تستطيع التمييز بين انواع الخمور المختلفة وذلك يشير الى ضعف حاسة الذوق ويقولون مثل هذا في سائر حواسها فيرد المعارضون حججهم قائلين انما تعجز المرأة عن التمييز بين صنوف الخمر لانها لا تدمنها كالرجال والمدمنات منهن يضارعن في ذلك ارق الرجال

اما شدة احساسها بالالام فيفسر كثرة الآلام التي تشاهد يقول مانتكازا ان شعورها بها اضعف شعور الرجل ويذهب سرجي الى ما يناقض ذلك فيقول ان المرأة سريعة الانفعال كالطفل وتذرف العبرات عند اول طارئ وتدل على محياها علائم الالم غير ان مظاهر الالم ليست هي ذاته وللتربية ونسق الحياة شأن خطير في الشعور فان النساء لكثيرات الاختلاط بالرجال اللواتي يمارسن حياة العمل يصبح دمهن عصبياً فيقدرن على احتمال المصائب والاوجاع ويتغلبن على قساوة الخطوب ويقول لمبروزو ان ضعف حواس المرأة نعمة كبرى في المجتمع اذ يسهل عليهن تحمل آلام الحمل والوضع

سرعة الانفعال . — يعود في ذلك الى آراء الفيسيولوجيين فقد برهنوا ان السرعة معيشة المرأة اثر في جسمها ونفسها لان حياتها المنزلية وانحصارها في انجاز الواجبات العائلية قلل من مناعة جسمها وخفض من عضلاتها ونشاطها وقال بانه نمّى العواطف الرقيقة حيث يضعف الشاهد على ان سرعة الانفعال لا تعود الى تركيبها العضلي بل تعزى الى قلة العمل الناشئ عن قلة التمرين فالنساء العاملات اقل تعرضاً للانفعالات في نكد عيش غيرهن من النساء وقد قال احد الباحثين ان امرأة العصور القديمة تختلف كل الاختلاف عن امرأة اليوم

ولا ريب في ان دخول النساء في الحياة العامة واساليب تهذيبهن التي تبدلت كان لها اشد اثر في حياتهن المعنوية فكلما تحككت المرأة بالرجل فقدت صفاتها الانثوية فهل يأتي يوم تضمحل فيه خواصها الجوهرية ؟ ان ذلك بعيد الاحتمال

استبحار العمران وانتشار التمدن يخففان من الم المرأة الناتج عن الامومة فهل يرجى ان يقويا على ملاشاة الاوجاع حتى يلاشياها ؟ والذي نراه ان الامومة كانت وستكون [illegible] لابد شأن

الحب والجمال المعنوي . — ان ما تخسره المرأة مادياً تربحه معنوياً وهذه الامومة تكبدها آلاماً لا تطاق الا انها تحبوها ارق الصفات التي يتزين بها الجنس البشري وهي الحب والحنان فالمرأة في سهرها الدائم على طفلها وعنايتها به يرتقي شعورها بالمحبة والعطف

في حب الامهات تتطلع اسمى عاطفة في الوجود ويزدهر رجاء لا احد له تقر به عين الانسانية وينفجر ينبوع هذا الحب في كل مكان ويرسم على كيانها آثاراً لا تمحى . ولا

بمجهول حب المرأة الا بافتراس آخر رجل فاز بالمها ووجودها يحملها على حفظ العهود وصيانة المواثيق ويحق للمرأة ان تفاخر بوظيفتها الاجتماعية فان الامومة هي مصدر الفضائل والمحبة الغريزية التي يحيا بها المجتمع الانساني وهذا الحب الشديد الذي يفصل بينها وبين الرجل يأبى الا ان يبوأها في الهيئة الاجتماعية مكانة اسمى من مكانته اذا اخذنا بتكافل الجنسين دون مساواتهما في العظمة واشتراكهما في مقاساة الآلام

كذب المرأة — تنمو على شجرة حياة المرأة في احوالها المختلفة فروع تحول الرأي فيها الفروق الفارقة بين الجنسين وكثيراً ما يمر بها المفكرون غير محتفلين بالاسباب الطارئة التي حطت بعضها نضيراً زاهراً يستهوي العيون مرآه والآخر ذاوياً جافاً ينبو عنه البصر على انها اذا بدلنا بيئة الشجرة تلاشت الفروع الفاسدة ولو اعتنت بالمرأة صروف الرجل لكان لها فضائله ورذائله

وما وجدنا اجرم من رأي من يأخذ على المرأة اعتلاقها باسباب الرياء وهي سلاح الضعفاء في النزاع الحيوي ولا بد لنا من كلام يزيد القضية وضوحاً ونحن نرى علماء النفس على اتفاق في هذا الحكم الذي يشمل المجتمعات الانسانية من ارقاها الى ادناها فاذا قضي على الضعيف ان ينازع القوي مال الى المراوغة والكذب وذلك شأن المرأة فكلما تحرج موقفها لجأت الى الافك والبهتان ذوداً عن نفسها ويقول سبنسر « ان الكذب يرافق كل حالة اجتماعية قائمة على دعائم القوة والخوف قوة السائدين وخوف المسودين قوة واقتداراً » غير ان الفلاسفة والمشترعين وعلماء النفس والشعراء والقصصيين اغضوا عن مصدر الشر وجعلوا الكذب صفة غريزية في المرأة ومشى على هذا المذهب الشارعون فحرموا المرأة حق الشهادة زاعمين انها اقل صدقاً من الرجل فادى ذلك الى استطرادها في هذا السبيل وما كان ذلك الا ليزيد تعاسة الرجل فشقاؤه ورياؤها متلازمان والآلام التي يكبدها اياها تفسد نقاء حياته العائلية فالمرأة عنصر يحل في حياة الرجل وفي وسعه ان يطهر ذلك العنصر او يفسده

ثبت في روعها انها لم تخلق الا لارضائه فتوسلت الى هذه الغاية بوسائل ملكة واضطرت ان تصنع لستر الطوارئ التي تلم بها فتذهب بروعة جمالها ومالت الى اغوائه بمهرجتها فتزينت وتبرجت وتحلت حللاً عذبة تسردها عن غير شعور وزاد بها هذا التصنع عن طبيعتها واكسبها صفات مستنكرة حتى سهل عليها بتوالي الازمان كتمان عواطفها والتظاهر بما لا تحس به فاصبحت تصرخ اذا مستها شوكة ولهالك اذا

استغرق الالم وجودها واقتنعت من الرجل ان يحميها لاعجابه وانه يميل الى المرأة الضعيفة

ثم ضعفت فيها ملكة النقد والتمييز لاهمال تنميتها فاصبحت تنظر الى المحسوسات نظراً مزوراً وتفسرها على غير حقيقتها ولم يشعر الرجل الا والمرأة قد تدللت وباتت بعكس الصفات التي افادها اياها ونزل الافك بحيث كل الحدث في المجتمع حتى اصبح دعامة الحياة العامة

كذب الرجل . — لا تنكر ان المرأة اشد رياء من الرجل غير انه ليس بفاقد هذه الصفة وانما الفرق في الكمية لا في الكيفية وقد تكذب المرأة وتداجي ولا تجرؤ دائماً على الهيئة الاجتماعية ما يجره بهتان الرجل من الويلات لما حرم وجوده من الشرائع الكاذبة ويباعد بينها وبين الغبطة لا بين الافراد فقط بل بين الاجناس والشعوب وما السلم المسلح سوى اكذوبة هائلة نقلت الى جميع العصور فن التهذيب العام والخاص وعلاقات الطبقات الاجتماعية ومبادىء الحكومات والعدل وتحديد حقوق الوطنيين وواجباتهم تولد تلك الآفة الهائلة وتفسد البيئة التي نعيش فيها فهذه العواطف غدت وسيلة الخداع والوطنية مدرجة المطامع الفانية والتزوير عنصراً جوهرياً للحياة فالسلطة الفردية تستعين بالقول — ان حق الملك من حق الله والديمقراطيون يقولون بوجوب المساواة وكلا الفريقين ذريع الى القبض على السلطة ولم يكتف مدعو الزعامة بادخال السم في الحياة العامة حتى جاهروا بذلك غير خجلين وقد افترت الانسانية على الهيئات والاديان فبينا نرى التعاليم الدينية تقضي علينا بمحبة القريب نجد المتدينين يتنازعون ويتقارعون والشعوب تتطاحن في مضمار الجهاد

والصنائع من ارقاها الى ادناها مدعومة بالافك والتزوير وهؤلاء السياسيون يأتون ضروب الغش والرياء ويرتقون المناصب على سلم من المواعيد التي يستحيل تحقيقها وكلما قام مصلح لمناهضة البهتان رموه بضعف الوطنية وكل ذلك من عمل الرجل

وحسبنا ما تقدم دليلاً على مبلغ الرجل من الافك مما حمل المرأة في دورها الى انتحاء اثره مسوقة بضعفها الطبيعي وعجز منبتها فانصرفت الى الاكاذيب البسيطة وافرط رفيقها في البهتان

يستحب الرجل في شريكة حياته الرقة والخضوع شأن كل كائن قوي فيريدها في عزه وداعة الورقاء ويحبب اليها القوة والرجولية ومهما بلغ من اخلاقه فالمرأة مدعوة الى مجاراته على اهوائه احتفاظاً بحبه وصيانة لنوع الانسان لم يكفها في ذلك حالها وقتها بل عمدت الى استرضائه فغالبت فطرتها توصلاً الى بلوغ هذه الغاية وما وقفت عند حد

التبرج والميل الى التفنن بمظهرها ، حتى ملأت قلوبهن فتأصل حب الاسترضاء في نفسها حتى عدا لها طبيعة ثانية ورثت فيها الوراثة لا تختلف الطبيعي حتى حسبت ارضاء الرجل الغاية الكبرى من حياتها وارتاح الرجل الى تلك المظاهر مأخوذاً بما فيها من الروائع الخلابة فالهته زينة الزهر عما فيه من السم الزعاف واستمدت المرأة مجهودها في استمالته ولو شوهت تكوينها المعنوي فاصبحت كثيرة الحيلة قديرة على كتمان عواطفها تتظاهر بالانقياد والعاطفة تثور في داخلها لتخفي عن نفسها ستاراً وخادعت شريكها بقولها وحركاتها وابتسامتها فعرض ذلك الى انها لم تخسر طبيعتها الانسانية في عصور العبودية والرق فهي بأنك تحفظ مزيتها الانسانية بما يدل على نبلها وصلابتها ومقاومتها لاساءة الرجل من الحيف والضغط

تعاقبت القرون وتأثير الاحوال الخاصة يعمل في نفس المرأة حتى جعل لها سمة خاصة فطرت في ارضاء الرجل جميع غايات حياتها الدنيوية غير عابئة بما يصيبها من ضعف شخصيتها ولكن مرونة النفس البشرية لا نهاية لها وفيها استعداد تام للرقي المعنوي فما زالت الظروف التي تبدل من وحدتها انشطت للحرية واستعادت ما فقدته من المواهب وخرجت الشعوب المنحطة من بيئتها الظالمة لتضارع ارقى الشعوب مدنية ويكفي نحو تأثير عشرين قرناً عشان او ثلاثة اعقاب فهذه بنات الكاوبس كانت منذ قرن واحد مطاردة في طلبات الحول فلما فتح لها باب المدنية حتى صرن [illegible] والكثيرات منهن اليوم لسن دون النساء الانكليزيات وزنوج الولايات المتحدة عدوا منذ مائة عام بين احط الشعوب الافريقية وقد بلغوا اليوم شأواً بعيداً في الحضارة وشغلوا مركزاً راقياً في عالمي الاقتصاد والاجتماع

وكان يعوزنا اليأس من المستقبل ولكن الانسان استطاع في سبيل الاصلاح واضاف الى النقائص المرونة ما تقوم العصور بتواليها غير ان النفس مرنة ومرونتها تنعش الرجاء بالمستقبل والمرأة في ذلك على مستوى الرجل فتبدل تهذيبها ومركزها الاجتماعي تستعيد الصدق احدى صفات السادة وتهجر الرياء وهو تركة عصور العبودية وعلى هذا المنوال يتغير مجموع الصفات الاثرية لان نفوسنا تتكيف على ما يلائم شروط البيئة لم يخلق الرجل ولا المرأة كاذبين او صادقين لهذا مازج البهتان حياتنا ولم يكن الا نتيجة للصلات التي ربطت الجنسين

بعض الحقائق . — تنبهت في المرأة عاطفة الفهم والملاحظة فتكشفت مقاصد

الرجل وتعمل على [illegible] الكسب [illegible] خاصة كما استفادت نفائس خاصة واصبحت قادرة على القضاء [illegible] والنظر في اعماق نفس الرجل المرنة مطالب العصف فيها فعرفت كيف تطلب [illegible] لاتعاد تهييج اشواقها واصبحت مداعبتها اوضح الرأى واشد فعلا [illegible] شخصيتها [illegible] شخصية الرجل اذ لا يمنعنا من الانقياد الى الغير [illegible] واعتمادا على [illegible] المرأة فقدت هاتين الخاصتين واستغرقت في حياة الرجل واصبحت العنصر الجوهري لسعادتها وشقائها

لو ان [illegible] الناصعة [illegible] الفعال [illegible] الحب فوق ما يشعر به الرجل لو ان الايام لابد ان تحمل من هذه العواطف

وصلت المرأة الى [illegible] العلم وتحدث [illegible] تهذيبها ما تبرع بها هذا المخرج [illegible] المرأة [illegible] الحب لانها تحب الحب وعكفت على مطالعة الاقاصيص [illegible] مصدر عواطف لا تغضب غيران [illegible] الى القصص [illegible]

التصورات [illegible] الرجل في دوره الى الغرام وما وجد اجمل من حبه وفقا في نفس المرأة اصبح [illegible] الاكبر في حياتها وهي غير [illegible] الانسانية يصبون دعائم مستقبلها واشتغل الناس بالاوهام [illegible] الحقائق [illegible] مؤرخنا في القرن الثلاثين [illegible] من الرقي [illegible] ارتقائها في [illegible] بعد عن الحقيقة وها نحن [illegible] المرأة [illegible] الرجل [illegible] استغرق الحب وجودها [illegible] اعظم الضحايا

حياة المرأة [illegible] حملتها [illegible] لا ترى مظاهر الحياة [illegible] [illegible] المرأة [illegible] الرجل [illegible] [illegible] هي

[illegible] المرأة [illegible] هي [illegible] المرأة [illegible] المرأة [illegible] كثيرا ما [illegible] الرجل [illegible] في الفكر [illegible]

خواص تقربها من الولد حتى وصفها بعضهم بقوله انها رجل غير كامل الا انها تستطيع في دورها ان تعزو الى الرجل ذلك اللقب ولقد يكون الطفل في حالة نموه احد ذهناً واوفر ذكاء من الرجل إذا تراجع في سلم النشوء وهو على الاطلاق اطهر منه قلباً واقل اهتماماً

الارتقاء العقلي لا يجري على خط مستقيم فينهض بنا طوراً الى اعلى الذرى ويحطنا تارة الى اعمق المهاوي وهذه الحيزات التي تفصل بين الرجل والمرأة ليست سوى نتيجة عوارض طارئة تزول بزوالها ومهما يكن من موقف المرأة ازاء الرجل فهو اثر من آثار المركز الذي وجدت فيه خلال عصور متوالية فهي كما وصفوها رجل ناقص لانها امرأة غير كاملة ومما يعزينا انها لم تخسر في عصور العبودية ذرة من القوة العضوية فيعوزها فقدانها من استعادة مركزها واقل تغيير في شروط حياتها العقلية والخلقية يمكنها من استرجاع الصفات التي اضاعتها

ان نجاح المرأة في عصرنا الحاضر يبعث في نفوسنا آمالاً ناضرة وبما ان ارتقاء الرجل قائم بارتقاء المرأة يحق لنا الوثوق بمستقبل الانسانية الزاهر . اهـ مترجماً بتصرف

من مقالة لجان فينو في المجلة الباريزية دمشق : جرجي الحداد

◆

ابن زيدون (١) وابن جهور

هذه رسالة ذي الوزارتين ابي الوليد احمد بن عبد الله بن زيدون المخزومي الاندلسي القرطبي (٣٥٤ – ٤٦٣) كتب بها الى رئيسه ابي الوليد بن جهور من ملوك الطوائف بالاندلس توفي عام (٤٤٣) يستعطفه بها اذ كان في اعتقاله

(٢) يا مولاي وسيدي الذي ودادي له واعتمادي عليه واعتدادي به ومن ابقاه الله

---

(١) (المقتبس م) ص ٤٤٩ و ٤٨٦ و ٤٨٤

(٢) لابن زيدون رسالتان فريدتان في اسلوبهما ضمنهما كثيراً من الامثال العربية والاشارة الى وقائع تاريخية مهمة

احداهما الرسالة التي كتبها الى الوزير ابي عامر بن عبدوس يتهكم به فيها وجعلها على لسان ولادة بنت المستكفي الاديبة الاندلسية المشهورة وقد شرحها جمال الدين بن

ماضي حد العزم واري زند الامل ثابت عهد النعمة .

فان سلبتني اعزك الله لباس انعامك وعطلتني من حلى ايناسـك واظمأتني الى برود اسعافك ونفضت بي كف حياطتك وغضضت عني طرف حمايتك بعد ان نظر الاعمى الى تأميلي لك وسمع الاصم ثنائي عليك واحس الجماد باستنادي اليك فلا غرو فقد يغص بالماء شاربه ويقتل الدواء المستشفى به ويؤتى الحذر من مأمنه وتكون منية المتمني في امنيته « والحين قد يسبق جهد الحريص »

كل المصائب قد تمر على الفتى ... وتهون غير شماتة الحساد

واني لاتجلد واري الشامتين « اني لريب الدهر لا اتضعضع »

فاقول هل انا الا يد ادماها سوارها وجبين عض به اكليله ومشرفي الصقه بالارض صاقله وسمهري عرضه على النار مثقفه وعبد ذهب به سيده مذهب الذي يقول

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً ... فليقس احياناً على من يرحم

هذا العتب محمود عواقبه وهذه النبوة غمرة ثم تنجلي وهذه النكبة « سحابة صيف عن قليل تقشع »

ولن يريبني من سيدي ان ابطأ سيبه او تأخر غير ضنين غناؤه فابطأ الدلاء فيضاً املؤها واثقل السحاب مشياً احفلها وانفع الحيا ما صادف جدباً والذ الشراب ما اصاب غليلا ومع اليوم غد ولكل اجل كتاب . له الحمد على اهتباله ولا عتب عليه في اغفاله

فان يكن الفعل الذي ساء واحداً ... فافعاله اللائي سررن الوف

واعود فاقول ما هذا الذنب الذي لم يسعه عفوك والجهل الذي لم يأت من ورائه حلمك والتطاول الذي لم يستغرقه تطولك والتحامل الذي لم يف به احتمالك .

نباته المصري الكاتب الشاعر المعروف (٦٨٦ — ٧٦٨) شرحاً سماه سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون وهو مطبوع في مصر

والرسالة الثانية كتبها الى ابي الوليد بن جهور (وهي المنشورة في هذا الجزء) وشرحها الاديب المؤرخ صلاح الدين الصفدي (٦٩٦ — ٧٦٤) شرحاً سماه تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون وقد وقفنا على نسخة مخطوطة من هذا الشرح (ومنه جردنا هذه الرسالة) في خزانة صديقنا السيد عبد الباقي الحسني الجزائري والكتاب يقع في نحو مائتي ورقة كتب عام ١٠٥٦

لا اخلو من ان اكون بريئاً فاين عدلك او مسيئاً فاين فضلك

الا يكن ذنب فعدلك واسع   او كان لي ذنب ففضلك اوسع

حنانيك قد بلغ السيل الزبى ونالني ما حسبي به وكفى وما اراني الا لو امرت بالسجود لآدم فابيت واستكبرت وقال لي نوح اركب معنا فقلت سآوي الى جبل يعصمني من الماء وامرت ببناء صرح لعلي اطلع الى اله موسى وعكفت على العجل واعتديت في السبت وتعاطيت فعقرت وشربت من النهر الذي ابتلي به جنود طالوت وقدت الفيل لابرهة وعاهدت قريشاً على ما في الصحيفة وتأولت في بيعة العقبة ونفرت الى العير ببدر وانخذلت بثلث الناس يوم احد وتخلفت عن صلاة العصر في بني قريظة وجئت بالافك على عائشة الصديقة وأنفت من امارة أسامة وزعمت ان خلافة ابي بكر كانت فلتة ورويت رمحي من كتيبة خالد ومزقت الاديم الذي باركت يد الله عليه وضحيت بالاشمط الذي عنوان السجود به وبذلت لقطام

ثلاثة آلاف وعبد وقينة   وضرب علي بالحسام المسمم

وكتبت الى عمرو بن سعد ان جعجع بالحسين وتمثلت عند ما بلغني من وقعة الحرة

ليت اشياخي ببدر شهدوا   جزع الخزرج من وقع الاسل

ورجمت الكعبة وصلبت العائذ بها على الثنية لكان فيما جرى علي ما يحتمل ان يكون نكالا ويدعى ولو بمجاز عقابا

وحسبك من حادث بامرئ   ترى حاسديه له راحمينا

فكيف ولا ذنب الا نميمة اهداها كاشح ونبأ جاء به فاسق وهم الهمازون المشاؤون بنميم والواشون الذين لا يلبثون ان يصدعوا العصا والغواة الذين لا يتركون اديما صحيحا والسعاة الذين ذكرهم الاحنف بن قيس فقال ما ظنك بقوم الصدق محمود الا منهم

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة   وليس وراء الله للمرء مذهب

والله ما غششتك بعد النصيحة ولا انحرفت عنك بعد الصاغية ولا نصبت لك بعد التشيع فيك ولا ازمعت يأساً منك مع ضمان تكفلت به الثقة عنك وعهد اخذه حسن الظن بك ففيم عبث الجفاء بأذمتي وعاث البين في مواقي وتمكن الضياع من وسائلي ولم ضاقت مذاهبي واكدت مطالبي وعلام رضيت من المركب بالتعليق بل من الغنيمة بالاياب وانى غلبني المغلب وفخر علي العاجز الضعيف ولطمتني غير ذات سوار ومالك لم تمنع مني قبل ان افترس وتدركني ولما امزق ام كيف لا تتصرم حوائج الاكفاء

حسداً لي على خصوصيتي وتطلع الناس الى منزلتي في الكرامة عليك وقد زانني اسم خدمتك، وزهاني وسم نعمتك، وأبليت البلاء الجميل في سماطك، وقمت المقام المحمود في بساطك

ألست الموالي فيك نظم قصائد هي الأنجم اقتادت مع الليل أنجما
ثناء يظل الروض منه منوراً ضحى ويخال الوشي فيه منمنما

وهل لبس الصباح الا برداً طرزته بفضائلك، وتقلد الجوزاء الا عقداً فصلته بمآثرك، واستقبل الربيع الا بشراً ملأته من محاسنك، وبث المسك الا حديثاً أذعته في محامدك، ما يوم حليمة بسر، وان كنت لم أكسك سلباً، ولا حليتك عطلاً، ولا وسمتك غفلاً، بل وجدت آجراً وجصاً فبنيت، ومكان القول ذا سعة فقلت، وحاشا لك ان أعد من العاملة الناصبة، وأكون كالذبالة المنصوبة «تضيء للناس وهي تحترق» فلك المثل الأعلى وهو بي وبك أولى، ولعمرك ما جهلت ان صريح الرأي ان أتحول اذ بلغتني الشمس ونبا بي المنزل، وأصفح عن المطامع التي تقطع أعناق الرجال، فلا أستوطئ العجز، ولا أطمئن الى الغرور، ومن الأمثال المضروبة «خامري أم عامر» واني مع المعرفة بأن الجلاء سباء، والنقلة مثلة

ومن يغترب عن قومه لم يزل يرى مصارع مظلوم مجراً ومسحبا
وتدفن منه الصالحات وان يسئ يكن ما أساء النار في رأس كبكبا

عارف بأن الأدب الوطن لا يخشى فراقه، والخليط لا يتوقع زياله، والنسيب لا يجفى، والجمال لا يخفى، ثم ما قران السعد للكواكب أبهى أثراً ولا أسنى خطراً من اقتران غنى النفس به وانتظامهما نسقاً معه، فإن الحاذق [illegible] الضارب [illegible] «وأين سار» إنما توجه ورد منهل بر، وحط في جانب قبول، وضوحك قبل إنزال رحله، وأعطي حكم الصبي على أهله

وقيل له أهلاً وسهلاً ومرحباً فهذا مبيت صالح ومقيل

غير ان الوطن محبوب، والمنشأ مألوف، واللبيب يحن الى وطنه حنين النجيب الى عطنه، والكريم لا يجفو أرضاً فيها قوابله، ولا ينسى بلداً فيها مراضعه قال الأول

أحب بلاد الله ما بين منعج الي وسلمى ان يصوب سحابها
بلاد بها عق الشباب تمائمي وأول أرض مس جلدي ترابها

هذا الى مغالاتي بعقد جوارك، ومنافستي بلحظة من قربك، واعتقادي ان الطمع في غيرك طبع، والغنى من غيرك عناء، والبدل منك أعوز، والعوض لك

واذا نظرت الى اميري زادني	ضناً به نظري الى الامراء

كل الصيد في جوف الفرا وفي كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار فما هذه البراءة ممن يتولاك والميل عمن لا يميل عنك وهلا كان هواك فيمن هواه فيك ورضاك فيمن رضاه لك

يا من يعز علينا ان نفارقهم	وجداننا كل شيء بعدكم عدم

أعيذك ونفسي من ان أشيم خلبا واستمطر جهاما واكدم غير مكدم واشكو شكوى الجريح الى العقبان والرخم فما أبسست لك الا لتدر وحركت لك الحوار الا لتحن ولا نبهتك الا لانام وسريت اليك الا لاحمد السرى لديك وانك ان سنيت عقد امري تيسر ومتى اعذرت في فك اسري لم يتعذر وعلمك محيط بان المعروف ثمرة النعمة والشفاعة زكاة المروءة وفضل الجاه تعود به صدقة

واذا امرؤ اهدى اليك صنيعة	من جاهه فكأنها من ماله

لعلي القي العصي بذراك وتستقر بي النوى في ظلك واستأنف التأدب بآدابك والاحتمال على مذهبك فلا اوجد للحاسد مجال لحظة ولا ادع للقادح مساغ لفظة والله ييسرك من اطلابي بهذه الطلبة واشكائي من هذه الشكوى بصنيعة يصيب بها مكان المصنع وتستودعها احفظ مستودع حسبما انت خليق له وانا منك حري به وذلك بيده وهين عليه .

ولما توالت غرر هذا النثر واتسقت درره لهز عطف غلوائه وجر ذيل خيلائه عارضه النظم اعيا او كايده مداهيا حين اشفق من ان يعطفك استعطافه ويلين بنفسك قساؤه فاختصر العائدة منه واعتد بالفائدة له وما زال يستكد الذهن الكليل والخاطر الكليل حتى زف اليك منه عروساً مجلوة في اثوابها منصوصة عليها وملابسها

وبعد ان اورد القصيدة[1] قال :

هذا كما اعزك الله بسطها الامل وبقبضها الخجل فاذنب التقصير وحرمة الاخلاص فهب ذنبا لحرمة واشفع نعمة بنعمة ليأتي لك الاحسان من جهاته ويسلك الى الفضل من طرقاته

دمشق	محمد رشدي الحكيم

---

[1] لم ننشر القصيدة لغلبة التحريف عليها

مخطوطات ومطبوعات

تاريخ اليعقوبي

مجلدان في ٩٤٠ ص طبع مطبعة بريل في ليدن سنة ١٨٨٣

من جملة الكتب العربية التي نشرها الاستاذ هوتسما احد علماء المشرقيات هذا التاريخ النفيس لابن واضح من اهل القرن الثالث للهجرة وقد جاء طبعه خدمة جليلة للمشتغلين باحياء آثار الشرق الاسلامي لجاه وانه بالرغم سدّ ثغرة مهمة في تاريخ الاسلام وقد نقحه باختلاف النسخ ووضع فهرس لاسماء الرجال وفهرس الاسماء الجغرافية التي ورد ذكرها في متن الكتاب ليتيسر الاطلاع به الى الطالب في الحال . والنسخة التي ظفر بها الناشر ناقصة من اولها وفيها غموض من بعض اسطرها لا يحول دون الانتفاع بها . ابتدأ المؤلف بذكر شيث بن آدم وبعد ان ذكر من بعده اكثر انبياء العرب تاريخ الانبياء تعرض للكلام على ملوك الاسرائيليين وملوك الموصل ونينوى وملوك بابل والهند واليونانيين والروم وفارس وملوك الترك والصين ومصر من القبط والبربر والافارقة والحبشة والسودان ومملكة البجة وملوك اليمن وملوك الشام وملوك الحيرة من اليمن وحرب كندة واديان العرب وحكامهم وازلامهم وشعرائهم واسواقهم وبها ينتهي الجزء الاول ويبدأ الجزء الثاني بمولد الرسول عليه الصلاة والسلام وبتاريخ الاسلام وخلفائه الى ايام احمد المعتمد على الله بعبارة سهلة موجزة . واليك مثالاً من الكتاب نعرف بها طريقة ابن واضح وصحة النقل في اسواق العرب

«كانت اسواق العرب عشرة اسواق يجتمعون بها في تجاراتهم ويجتمع فيها سائر الناس ويأمنون فيها على دمائهم واموالهم فمنها دومة الجندل يقوم في شهر ربيع الاول ورؤساؤها غسان وكلب اي الحيين غلب قام بها ثم المشقر بهجر يقوم سوقها في جمادى الاولى تقوم بها بنو تميم رهط المنذر بن ساوى ثم صحار يقوم في رجب في اول يوم من رجب ولا يحتاج فيها الى خفارة ثم يرتحلون من صحار الى دبا فيعشرهم فيها الجلندي وآل الجلندي ثم سوق الشحر شحر مهرة فيقوم سوقها تحت ظل الجبل الذي عليه قبر هود النبي ولم يكن بها خفارة وكانت مهرة تقوم بها ثم سوق عدن يقوم في اول يوم من شهر رمضان يعشرهم بها الابناء ومنها كان يحمل الطيب الى سائر الآفاق ثم سوق

صنعاء يقوم في النصف من شهر رمضان يعشرهم بها الأبناء. ثم سوق الرابية بحضرموت ولم يكن يصل اليها الا بخفارة لانها لم تكن ارض مملكة وكان من عز فيها بز وكانت كندة تخفر فيها ثم سوق عكاظ بأعلى نجد يقوم في ذي القعدة وينزلها قريش وسائر العرب الا ان اكثرها مضر وبها كانت مفاخرة العرب وحمالاتهم ومهادناتهم ثم سوق ذي المجاز وكانت ترتحل من سوق عكاظ وسوق ذي المجاز الى مكة لحجهم وكان في العرب قوم يستحلون المظالم اذا حضروا هذه الاسواق فسموا المحلين وكان فيهم من ينكر ذلك وينصب نفسه لنصرة المظلوم والمنع من سفك الدماء وارتكاب المنكر فيسمون الذادة المحرمين فاما المحلون فكانوا قبائل من اسد وطيء وبني بكر بن عبدمناة ابن كنانة وقوم من بني عامر بن صعصعة واما الذادة المحرمون فكانوا من بني عمرو بن تميم وبني حنظلة بن زيد مناة وقوم من هذيل وقوم من بني شيبان وقوم من بني كلب بن وبرة فكان هؤلاء يلبسون السلاح لدفعهم عن الناس وكان العرب جميعاً بين هؤلاء تضع اسلحتها في الاشهر الحرم ... وكانت العرب تحضر سوق عكاظ وعلى وجوهها البراقع فيقال ان اول عربي كشف قناعه ظريف بن غنم العنبري ففعلت العرب مثل فعله .»

اما المثال الثاني فنقتبس منه بعض الجمل فقط دلالة على حرية المؤلف ورداً على من يقول ان مؤرخي بني العباس اضطرتهم السياسة ان يحملوا على بني أمية ارضاء لبني هاشم مع ان من اولئك المؤرخين من طعنوا الطعن المبرح بالعباسيين انفسهم وهم معاصرون لهم كل ذلك بفضل الحرية التي تمتع بها العلم في القرون الاولى لبني العباس قال المؤلف بعد ان ذكر طرفاً من سيرة المتوكل على ما هي معروفة ومن قبض عليهم واستصفى اموالهم من عماله . وفي هذه السنة امر المتوكل بلبس اهل الذمة الطيالسة العسلية وركوبهم البغال والحمير بركب الخشب والسروج التي فيها الاكر ولا يركبون الخيل والبراذين وان يصيروا على ابوابهم خشباً فيها صور الشياطين . وقال : وامر المتوكل في هذا الوقت ان لا يستعان باحد من اهل الذمة في شيء من عمل السلطان وان تهدم الكنائس والبيع الحدثة ويمنعوا من العمارة وكتب بذلك الى الآفاق . ولعل ما دعا المتوكل الى تشديد الوطأة على اهل الذمة الانتقام منهم عما كان يأتيه ملوك الروم من غزو الاطراف فقد ذكر ابن واضح في ترجمة المتوكل ايضاً انه لما وجه عنبسة بن اسحاق الضبي لم يتم فيها الا شهوراً حتى اناخت الروم على دمياط في خمسة وثمانين مركباً [illegible] خلقاً من المسلمين

واحرقوا الفاً واربعمائة منزل وسبوا من المسلمات الفاً وثلاثة وعشرين امرأة ومن نساء القبط الف امرأة ومن اليهود مائة امرأة واخذ السلاح الذي كان بدمياط والسقط وتهارب الناس فغرق لهم خلق كثير نحو الفين واقاموا يومين وليلتين ثم انصرفوا . ومع هذا وجه «طاغية الروم» رسلاً وهدايا وكانت [illegible] بعث اليه اصحابها .

ونرى من خلال السطور ان المؤرخ يكاد يصرح بهذه الحالة التي كل حين وصفاً في صحفه في بعض عماله وتعذيبهم وما فاته فيه . وبنى المتوكل قصوراً انفق عليها اموالاً عظيمة منها الشاه والعروس والشبداز والبديع والغريب والبرج انفق في البرج الف الف وسبعمائة الف دينار . قال وعزم المتوكل على المصير الى دمشق ووصفت له برد هوائها وكان محروراً فكتب الى محمد بن احمد بن مدبر بعمارة القصور واعداد المنازل وكتب في اصلاح الطريق واقامة المنازل والمرافد وخرج من سر من رأى يوم الاثنين لعشر بقين من ذي القعدة سنة ٢٤٣ ودخل دمشق يوم الاربعاء لثلاث بقين من صفر سنة ٢٤٤ فنزل تلك القصور فاقام ثمانية وخمسين يوماً وبلغه عن بعض الولاة من الاتراك ما كرهه فشخص عن دمشق الى العراق ولم يسافر في ولايته غير هذه السفرة الا في نزهة ولم ير في سفرته هذه شيئاً ولا نظر في مصلحة احد واصابت الشام كله زلازل حتى ذهبت اللاذقية وجبلة وماتت عامة الناس حتى خرج الناس الى الصحراء واقاموا [illegible] وما فيها واتصل ذلك شهوراً من سنة ٢٤٥ وانتقل المتوكل الى موضع يقال له الماحوزة على ثلاثة فراسخ من قصر سر من رأى وبنى هناك مدينة سماها الجعفرية وحفر فيها نهراً من القاطول ونقل الكتاب والدواوين والناس كافة اليها وبنى فيها قصراً [illegible] وذلك في المحرم سنة ٢٤٦

ومما رواه المؤلف في سيرة المأمون وتحريه [illegible] ان بشر بن الوليد الكندي القاضي ببغداد كان قد ضرب رجلاً قرف بشتم ابي بكر وعمر واطافه على جمل فلما قدم المأمون بغداد وكان متغيباً في الشام [illegible] قال يا بشر قد [illegible] يا بشر [illegible] قد احطت بهذا خمس عشرة خشبة ثم اقبل على الفقهاء فقال : ايكم [illegible] هذا الرجل قال انه شتم ابا بكر وعمر فقال : حضرك خصومه قال : لا قال : فكان [illegible] قال : لا قال : فهل يمكن ان يقيم حد القرية بغير حضور خصم قال : لا قال : فكيف تأمن ان [illegible] بعض [illegible] قال : لا [illegible]

كافرتان قال : فيقام في الكفارة حد السرقة قال : لا قال : فهبك فعلت هذا بما يجب لابي بكر وعمر من الحق افيشهد عندك شاهدا عدل قال : قد زكي احدهما قال : فيقام الحد بغير شاهدين عدلين قال : لا قال : ثم أقمت الحد في رمضان فالحدود تقام في شهر رمضان قال : لا قال : ثم جلدته وهو قائم فالمحدود يقام قال : لا قال : ثم شبحته بين العقابين فالمحدود يشبح قال : لا قال : ثم جلدته عريان فالمحدود يعرى قال : لا قال ثم حملته على جمل فاشهرته فالمحدود يطاف به قال : لا قال : ثم حبسته بعد ان اقمت عليه الحد فالمحدود يحبس بعد الحد قال : لا قال : لا يراني الله ابوء باثمك واشاركك في جرمك حلوا عنه ثيابه واحضروا المحدود ليأخذ حقه منه فقال له من حضر من الفقهاء : الحمد لله الذي جعلك عاملاً بحقوقه عارفاً باحكامه تقول الحق وتعمل به وتأمر بالعدل وتؤدب من رغب عنه ان هذا يا امير المؤمنين حاكم اجتهد في رأيه فاخطأ فلا تفضح به الحكام وتهتك به القضاء فامر به فحبس في داره حتى مات اه .

والكتاب كله فوائد غزيرة ينم عن علم صاحبه وناشره فيا حبذا لو همت العزائم في الشرق لاعادة طبعه على صورة احسن تسهيلاً لاقتنائه لان معظم الكتب التي نشرها علماء المشرقيات قصدوا بها فائدة بلادهم او نفراً خاصاً لهم ولذلك يقللون من النسخ المطبوعة منها ما امكن بحيث يتعذر على ابن الشرق ابتياعها لغلاء اثمانها بالنسبة الى ما ألف من رخص الكتب في بلاده وكثيراً ما يطلبها فلا يظفر منها بنسخة لانها تنفد في مدة قليلة ولا يصل خبرها الى الشرق الا وتكون قد نفدت او كادت .

تقويم البلدان

قلنا غير ما مرة ان علماء المشرقيات من الفرنسيس قصروا في العهد الاخير عن اللحاق برصفائهم من الالمان وان ما ينشرونه اليوم من الكتب العربية دون ما كان اسلافهم ينشرونه في النصف الاول من القرن التاسع عشر وكتاب تقويم البلدان تأليف السلطان الملك المؤيد عماد الدين اسمعيل صاحب حماة اكبر شاهد على صحة هذا القول فقد طبعه في باريز بدار الطباعة السلطانية سنة ١٨٤٠ المسيو رينود والبارون دسلان بنظارة سلفستر دي ساسي شيخ المستشرقين في فرنسا الذي افضل كثيراً على العرب والعربية بما نشره من آثار السلف

وتقويم البلدان في الجغرافية العامة كما يفهم من اسمه عظيم الفائدة من وجوه اقلها ان المؤلف كان من يعد الطبقة الراقية بين علماء القرن الثامن مدقق في كل ما خطه بيده من

مصنفات فهو في ملوك الطوائف المتأخرين مثله وفضله بمنزلة المأمون من خلفاء العباسيين .

طبع الناشر الاول من كتابه هذا بنسخة صححت على المؤلف وكتب عليها بخطه بعض التعليقات او هي بخط المؤلف بجملتها والعناية قد بذلت بها من اصح ما طبع علماء المشرقيات

اعتمد المؤلف على ما كتبه ابن حوقل والادريسي وابن سعيد وعلى كتاب العزيزي والقانون ونقل عنهم حتى في جغرافية بلاده وكان ابو الفداء قد ساح سورية ومصر وقسماً من بلاد العرب من الحجاز والى الفرات فعد كلامه ثقة فيما كتبه والغالب انه تحدى بطليموس في تقسيماته الجغرافية قال في مقدمته : بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله حمداً يليق بجلاله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وبعد فاني طالعت الكتب المؤلفة في البلاد ونواحي الارض من الجبال والبحار وغيرها فلم اجد فيها كتاباً موفياً بغرضي فمن الكتب التي وقفت عليها في هذا الفن كتاب ابن حوقل وهو كتاب مطول ذكر فيه صفات البلاد مستوفاة غير انه لم يضبط الاسماء وكذلك لم يذكر الاطوال ولا العروض فصار غالب ما ذكره مجهول الاسم والبقعة ومع ذلك لا تحصل به فائدة تامة وكتاب الشريف الادريسي في المسالك والممالك وكتاب ابن خرداذبة وغيرهما وجميعهم حذوا حذو ابن حوقل فيما تقدم من عدم التعرض الى تحقيق الاسماء والاطوال والعروض واما الزيجات والكتب المؤلفة في الاطوال والعروض فانها عرية عن تحقيق الاسماء وعن ذكر صفات البلدان واما الكتب المؤلفة في تصحيح الاسماء وضبطها مثل كتاب الانساب للسمعاني والمشترك لياقوت الحموي وكتاب مزيل الارتياب عن مشتبه الانساب وكتاب المفصل كلاهما لابي المجد اسمعيل بن هبة الله الموصلي فانها اشتملت على ضبط الاسماء وتحقيقها من غير تعرض الى الاطوال والعروض ومع الجهل بالاطوال والعروض يجهل سمت تلك البلد ولا يعرف الشرقي منها ولا الغربي ولا الجنوبي ولا الشمالي

ولما وقفنا على ذلك وتأملناه جمعنا في هذا المختصر ما تفرق في الكتب المذكورة من غير ان ندعي الاحاطة بجميع البلاد او بغالبها فان ذلك امر لا مطمع في الاحاطة به فان جميع الكتب المؤلفة في هذا الفن لا تشتمل الا على القليل الى الغاية فان اقليم الصين مع عظمته وكثرة مدنه لم يقع الينا من اخباره الا الشاذ النادر وهو مع ذلك غير محقق وكذلك بلاد الططر وبلاد الجركس وبلاد الروس وبلاد السرب وبلاد

الاولاق او الاولاخ او بلاد الفرنج من الخليج القسطنطيني الى البحر المحيط الغربي فانها بلاد كثيرة وممالك عظيمة متسعة الى الغاية ومع ذلك فان اسماء مدنها واحوالها مجهولة عندنا لم يذكرها الا القليل النادر وكذلك بلاد السودان في جهة الجنوب فانها ايضاً بلاد كثيرة الجنوس مختلفة من الحبش والزنج والنوبة والتكرور والزيلع وغيرهم فانه لم يقع الينا من اخبار بلادهم الا القليل النادر وغالب كتب المسالك والممالك انما حققوا بلاد الاسلام ومع ذلك لم يحصروها عن آخرها ولكن كما قيل ما لم يعلم كله لا يترك كله فان العلم بالبعض خير من الجهل بالكل وقد جمعنا في هذا المختصر ما تفرق في كتب عديدة عَلَى ما ستقف عليه ان شاء الله عند ذكرها وحذونا في تأليفه حذو ابن جزلة في كتاب تقويم الابدان في الطب وسمينا كتابنا هذا تقويم البلدان اهـ ٠

بدأ المؤلف بذكر الارض والاقاليم السبعة والابحار والاطوال والخلجان والبحيرات والانهار والجبال قال في الكلام عَلَى ترتيب كتابه : اما ترتيبه فانه بجدول عَلَى وضع التقاويم وقد ذكر فيه الاقليم الحقيقي والاقليم العرفي في بيتين والمراد بالاقليم الحقيقي احد الاقاليم السبعة المتقدم ذكرها والعرفي كل ناحية او مملكة تشتمل عَلَى عدة كثيرة من الاماكن والبلاد مثل الشام والعراق وغيرهما ٠ قال وقد جعلنا في الجدول بيتاً لضبط الاسماء فان في هذه الاسامي اسماء اعجمية لا يهتدى اليها بغير ضبط وكذلك في الاسماء المشهورة اسماء قد غيرتها العامة تارة بتغيير الفتحة الى الكسرة او الضمة وبالعكس وتارة بزيادة الحروف في الكلمة وتارة بالتنقيص مثل ما يقولون في تبريز توريز وتستر شتشتر ومثل ما يقولون تدمر بضم الثاء وهي بالفتح فلذلك احتجنا الى ضبط الاسماء وذكرنا في الهامش من طرق ونحت كلاماً عَلَى ذلك الاقليم وتحديده وذكر بعض مسافاته ونحو ذلك واما ترتيب الاماكن وتقديم بعضها عَلَى بعض في الذكر فانه امر لم يتهيأ لنا فيه ترتيب يرضينا فتبعنا فيه ابن حوقل وابتدأنا بجزيرة العرب لكون بيت الله الحرام وقبر نبيه عليه افضل الصلاة والسلام بها ٠

ومع ان مؤلفنا اعتذر بتعذر الوصول الى اخبار بلاد الافرنج فقد ذكر منها جملة صالحة فذكر منها مملكة بولية في بحر الروم عند الجون البنادقة من غربيه وهي تقابل مملكة البلبلسة التي من البر الآخر وملك بولية كان يقال له في زمانه الريدشار وذكر بلاد قلفرية والرا (اللورة) والمحبوط الفرنس والسقاله (ايطاليا) واستنبرى والروس والفرنسة والالمانية وذكر مدينة باريز فقال - مدينة ريس قاعدة فرنسا وهي ثلاث قطع

كما هي مدينة الباب الوسطى التي في الجزيرة الانكلسية سلطان الفرنج والجنوية تحمد الشهابية لسائر قواسمهم وتجارهم ورعيتهم. وذكر عن ابن سعيد بلاد الباشقرد وهم ترك جاوروا الالمانيين على عهد منوانق وهم مسلمون من جهة فقيه تركي نصرهم بشرائع الاسلام. واكثر عمارتهم على نهر دونا وفي جنوبيه قاعدتهم قرات وهي مما دخله التتر وخربوه واهلكوا اهله وفي شرقيها بلاد الصقر (البجر) اخوة الباشقرد نصروا لمجاورة الالمانيين ولهم مدائن وعمائر على النهر الكبير منسجمة وقاعدتهم مدينة ترتبوا وذكر بلاد الصربوية وحسوة ونيزة والبندقية ورومية وبرشان (قاعدة امة البرجان) قال فيهم وكان لهم شهرة وبأس في قديم الزمان فاستولت عليهم الالمانية واباودهم حتى لم يبق منهم احد ولا بقي لهم اثر وذكر مدن اثينة وقسطنطينية وتسمى بوزنطيا ومافذونية وصافي وادرنة وطرنو وبلاد (بلغار) وطلوزة قال ابن سعيد وفي شرقي ردال مدينة طلوزة يقال ان صاحبها الفرنجي في الجبال التي في شماليه وشرقيه ما ينيف على الف حصن وهو قريب من صاحب ترلنة والبحر في جنوبيها يصعد منه مراكب البحر المحيط اليها بالقصدير والنحاس اللذان يجلبان من جزيرة انكلطرة وجزيرة ارلندة ويحمل على الظهر الى نربونة ومنها يحمل في مراكب الفرنج الى الاسكندرية. وذكر مدينة مرسيلية ومدينة سبتفوا في شمالي جبل جرواب قال فيها نقلاً عن ابن سعيد انه يصنع فيها السيوف الالمانية المشهورة ولها معدن حديد يجلبانها ويقال ان في مكان منه معدن حديد مسموم يصنع منه السيوف والخناجر لا يبيع الملوك اكثرها ابدهم وفي شرقيها وسمت عرضها مدينة لمصبن (مدن ؟) وهي مخصوصة ببناء الالية وحكمائهم. وذكر عرار ولوشيرة وسيتنو ومشقة وبرغاذا . ومن هذه المدن ما دثر الآن او تغير اسمه .

وصفوة القول ان كتاب ابي الفدا من اصدق كتب الجغرافية العربية التي ألفت في القرون الوسطى وكأنها ألفت في هذا القرن لم يفص صاحبها الا بما عرف فكان حجة ثقة في كل ما روى تكاد لا تقرأ له خرافة ينكرها عقلك وشأن ارتقاء العصر الحاضر فياحبذا لو صحت همة احد لطبعه فان نسخه فقدت ولا تكاد توجد الا في مكاتب الخاصة ودور الكتب العامة

* * *

اخبار وافكار

بدائع الصنائع
والمرأة المسلمة في العصور المتقدمة

تكلمتم في الجزء العاشر من المجلد الخامس على كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع وبينتم فضل الكتاب وما له من المكانة عند المشتغلين بفقه الامام الاعظم فأحببت ان اتحف قراء المجلة بترجمة المؤلف وترجمة استاذه وبنت استاذه زوجته فاطمة الفاضلة فانها انموذج مما كانت عليه الامة الاسلامية من العناية بتربية النساء

قال الفاضل محمد عبد الحي اللكنوي الهندي في طبقاته المسماة بالفوائد البهية في تراجم الحنفية في صفحة ١٥٨ : محمد بن احمد بن ابي احمد ابو بكر علاء الدين السمرقندي صاحب تحفة الفقهاء استاذ صاحب البدائع شيخ كبير فاضل جليل القدر تفقه على ابي المعين ميمون المكحولي ، وعلى صدر الاسلام ابي اليسر البزدوي وكانت ابنته فاطمة الفقيهة العلامة زوجة علاء الدين ابي بكر صاحب البدائع وكانت تفقهت على ابيها (وحفظت تحفته) وكان زوجها يخطئ فترده الى الصواب وكانت الفتوى تأتي فتخرج وعليها خطها وخط ابيها فلما تزوجت بصاحب البدائع كانت تخرج وعليها خطها وخط ابيها وخط زوجها . اه

وقال في الكتاب الموسوم بمدينة العلوم (وهو من البقية الباقية من نفائس مخطوطات مكتبة المدرسة العثمانية بحلب) ومنها (اي من كتب الحنفية) كتاب التحفة للشيخ الامام محمد بن احمد بن ابي احمد الامام علاء الدين السمرقندي وهو الذي زوج الكاساني ابنته فاطمة وشرح تحفته وفاطمة هذه كانت تنقل المذهب نقلاً جيداً وربما ترد فتوى زوجها الكاساني ويرجع هو الى قولها وكانت الفتوى اولاً تخرج وعليها خطها وخط ابيها السمرقندي ثم كانت تخرج بخطها وخط زوجها الكاساني وكانت في يدي فاطمة سواران (باعتهما) وعملت بثمن الفطور كل ليلة بالحلاوى واستمر ذلك الى اليوم ولهذا سميت تلك المدرسة بالحلاوية اه (لم يزل هذا اسمها وهي من آثار نور الدين الشهيد عمرها سنة ٥٤٤)

وقال في الفوائد البهية ايضاً في صفحة ٥٣ : ابو بكر بن مسعود بن احمد علاء الدين

مات علاء الدين الكاساني صاحب البدائع شرح تحفة الفقهاء أخذ العلم عن علاء الدين محمد السمرقندي صاحب التحفة وعن صدر الإسلام أبي اليسر البزدوي وعن أبي المعين ميمون المكحولي وعن مجد الأئمة السرخسي وله كتاب السلطان المبين في أصول الدين وتفقه عليه ابنه محمود وأحمد بن محمود الغزنوي صاحب المقدمة الغزنوية مات في عاشر رجب سنة سبع وثمانين وخمسمائة ودفن بظاهر حلب عند قبر زوجته فاطمة ابنة صاحب التحفة الفقيهة العالمة والدعاء عند قبرهما مستجاب قال الحلبي قال لي [illegible] مصنف البدائع الكتاب الجليل والسلطان المبين قبل وفاته الحمد في المعتقد ومن شعره

سبقت العالمين الى المعالي بصائب فكرة وعلو همة
ولاح بحكمتي نور الهدى في ليال للضلالة مدلهمة
يريد الجاحدون ليطفئوه ويأبى الله الا ان يتمه

وتفقه على محمد بن أحمد السمرقندي وقرأ عليه معظم تصانيفه وزوجه شيخه ابنته فاطمة وقيل ان سبب تزوجها انها كانت من حسان النساء وكانت حفظت التحفة لأبيها وطلبها جماعة من ملوك بلاد الروم فلما صنف صاحب الترجمة البدائع وهو شرح التحفة وعرضه على شيخه ازداد به فرحاً وزوجه ابنته وجعل مهرها منه ذلك فقالوا شرح تحفته وزوج ابنته وأرسل صاحب البدائع رسولاً من ملك بلاد الروم الى نور الدين محمود بحلب وكان قبل ذلك قدم الرضا السرخسي صاحب المحيط الى حلب فولاه نور الدين الحلاوية وأعفى ثم ولاه نور الدين الحلاوية فتلقاه الفقهاء بالقبول . وقال ابن العديم حدثني ضياء الدين الحنفي قال حضرت الكاساني عند موته فشرع في قراءة سورة ابراهيم حتى بلغ قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) فخرجت روحه ودفن عند زوجته داخل مقام الخليل بظاهر حلب والدعاء عند قبريهما مستجاب ويعرف عند الزوار في حلب بقبر المرأة وزوجها الأعلى فلك في الاشعار التي نسبها اليه ونقلها حسن جلبي في حواشي التلويح الى الحكيم ابي [illegible] والله اعلم . ونسبته الى الكاساني بالكاف ثم الألف ثم السين المهملة ثم الألف ثم النون بلدة وراء الشاش ذكره السمعاني وقد يقال في نسبته الكاشاني بالمعجمة بدل المهملة وفي مشتبه النسبة للذهبي قاسان بلد كبير بتركستان خلف سيحون وأما [illegible] كاشان وكانت من محاسن الدنيا خربت لاستيلاء الترك عليها . وأما العلامة علاء الدين الكاساني من أئمة الحنفية بدمشق ا ه. وعاصر [illegible] الإمام الملك نور الدين الشهيد

وقال العلامة ابن عابدين في حاشيته على الدر المختار في اوائل باب الطهارة ما نصه : هذا الكتاب (اي البدائع) جليل الشأن لم ار له نظيراً في كتبنا اه

وقد اكثر العلامة المذكور في حاشيته من النقل عنه والمتتبع لها يرى انه حينما يأتي بالنقل عنه يكون قد آذن بالاتيان بما فيه فصل الخطاب في المسائل المختلف فيها ·

فكتاب يلقب المؤرخون صاحبه بملك العلماء ويشهد فيه العلامة ابن عابدين هذه الشهادة ويكون عمدته في حاشيته التي عليها المعول في عصرنا هذا يدل دلالة واضحة عَلَى عظم فضل مؤلفه وجلالة قدره وغزارة مادته ومع هذا الفضل والعلم الزاخر كانت زوجته فاطمة ربما ردت فتواه ورجع هو الى قولها ولا ريب انها لم تقدم عَلَى ذلك الا حينما آنست من نفسها انها ضاهته في العلم وبلغت مبلغه في الفضل

وحسبنا هذا دليلاً عَلَى ما وصلت اليه المرأة المسلمة من الرقي في تلك العصور وقايس ايها القارئ بين امثال هذه الفاضلة وبين المرأة المسلمة في عصرنا هذا وقل لي رعاك الله هل يوجد اليوم في مشارق الارض ومغاربها امرأة مسلمة حازت من العلياء هذه الدرجة وقل لهؤلاء العلماء القائلين بتحريم تعليم المرأة الكتابة أ كان صاحب التحفة السمرقندي الذي هذب ابنته فاطمة وعلمها ما علمها جاهلاً بالحكم الذي يعلمه هؤلاء ·

فهل لنا ان نأخذ من ترجمة هذه الفاضلة درس عظة يوقظنا من سباتنا ويبعثنا من اجداث خمولنا ويرشدنا الى النهوض الى تعليم بناتنا واجباتهم الدينية وحوائجهم الدنيوية لنحيى في الدنيا حياة طيبة ونعيش في الآخرة عيشة راضية ·

حلب محمد راغب طباخ

(تنبيه) علم مما تقدم ان بدائع الصنائع هو شرح تحفة الفقهاء لكن المتصفح للكتاب لا يرى فيه المتن البتة وذلك لانه شرح على طريقة المتقدمين اي انه اتى الى كل بحث من ابحاث التحفة فوسع دائرته وجعله فصلاً ومزج المتن مع الشرح مزجاً لا يمكن التفرقة بينهما الا لمن يرى التحفة عَلَى حدتها فالكتاب عبارة عن فصول متتابعة

تجدد ايطاليا

كتب احدهم في المجلة مقالة تحت هذا العنوان قال فيها ما محصله : كلما خرقوا جانباً من جبال الالب ينزل عَلَى ايطاليا ينبوع من الخصب والمال وبينما نجد العجز مستحكماً في ميزانيات المانيا وانكلترا وفرنسا نرى ميزانية ايطاليا يزيد دخلها عَلَى خرجها فازدادت تجارة ايطاليا الخارجية منذ اواخر القرن التاسع عشر بقوة عجيبة لم تضاهها به التجارة الالمانية ولا

تجارة الولايات المتحدة: نمت تجارة اميركا ٥٥ في المئة والمانيا ٨٤ وفرنسا ٥٠ وانكلترا ٥٠ اما ايطاليا فقد زادت ٩٩ في المئة . ومدينة ميلان معهد المتقدمين من الذين كانوا مهد دعاة الاشتراكية المتحمسين ولكنهم يراعون النظام في حركتهم ومطالبهم وما قط اضربوا [illegible] حراماً او اعتصبوا الا حراماً فالاشتراكيون كل حراكهم والتاليون كذلك ويكفي ان مدينتي تورين وميلان قد تقدمتا في صنع السيارات (الاتوموبيل) قبل فرنسا وربحتا ارباحاً طائلة

ويعلم ان ايطاليا مجدة رجالاً كما هي مخصبة بالاطفال والولادات ومعدل مواليدها اكثر من المانيا ففي كل كيلومتر من بلادها ١١٧ ساكناً في حين لا يوجد في كل كيلومتر من المانيا سوى ١٠٤ فقط . ويحسب الاجتماعيون نمو الشعب الايطالي المتزايد لاعتياد الكهول في الزواج فقد تجد عروساً في الثالثة عشرة من عمرها وأما في السادسة عشرة في كل مقاطعة سيرها في البلاد ويغلب على العامل الايطالي القناعة والعمل والاقتصاد وهو مولع بحب الاسرة فاذا ابتعد عنها قليلاً يعود ليكون مولاها ولا يهاجر العامل الايطالي بيته الا ويرجع وهو ابداً يحن العودة اليه

العامل الايطالي مثال القناعة والتوفير والصبر واجرته من الاجرة المتوسطة من مثله العامل الانكليزي وغيره . . . وهو يقتصد من اجرته سهماً في صندوق التوفير ثم ان اجرة اليد العاملة في ايطاليا رخيصة ولكن الوفر فيها قليل [illegible] لا تعدل في تلك البلاد الخصبة نحو عشر [illegible] وليست ميناء جنوى دون مرسيليا التجارية فاذا كانت مرسيليا تعوزها سفن [illegible] لنقل منها الى [illegible] فان جنوى [illegible] ايطاليا فقد وقف فيها سنة ١٩١٠—١٣ الف سفينة في حين وقف في مرسيليا ١٢ الفاً وكان حظ جنوى [illegible] البضائع وحظ مرسيليا [illegible] والاعتصاب العملة غير مألوف كما هو مألوف في مرسيليا لان العملة يعرفون ان مصلحتهم مرتبطة بمصلحة مخدوميهم ولذلك تجدهم [illegible] الشكل يدع بالتحقيق

قال ولقد اوشكت ايطاليا ان تموت من تجددها لانها من التقاليد لا تخلو من عبرة فقد ماتت [illegible] الا في عهد ما دامت دائرة الشكل [illegible] اهلها اذلة وذلك لانها فقدت [illegible] وطنيتها وافسدت اخلاق حكامها [illegible] واضعفت جيشها العادات البالية الحياة الى رومية وبدلاً من ان [illegible] صارت تذكر اسم الله [illegible] دون الرصانة [illegible] بالمجون والشاعرين ورجال الحرب والسياسة من الايطاليين . وتراجع

عمران رومية للمرة الثانية بما حدث من القلاقل بين البابا والامبراطور حتى اذا كانت الثورة الفرنسوية انتفضت ايطاليا كما انتفض العصفور بلله القطر · وفي اواسط القرن التاسع عشر نشأت تلك الثورة الوطنية التي كان من نتائجها وصول ايطاليا الى ما وصلت اليه · كانت ايطاليا منذ ستين سنة منقسمة الى ممالك حقيرة كلحم على وضم من مقاطعة صقلية الى رومان الى اميليا الى طوسكانيا الى بيمون ومن كان يرجو ان يداً صناع تقدر على عجن هذه الاجزاء المفككة لتوحيدها وارجاعها الى الحياة وكم من ايطالي عظيم مات وهو يفكر في هذا الامر الجلل ويرسم هذه الخطة العجيبة

ولقد تهيأ لايطاليا مثل غاريبالدي الذي قاد فتيانها ومازيني الذي كانت خطوته من الشعب سلاحاً اقوى من كل سلاح وكافور رجل السياسة الذي احيا الزراعة كما انعش الجيش واقام نصاب العدل والحق كما فاوض اوربا لجعل ايطاليا وطناً

وهكذا بني بناء الوحدة الايطالية بسرعة ومواد متينة على ارض لا تتزعزع فتوطدت دعائم هذا البناء منذ خمسين سنة وعادت رومية عاصمة ايطاليا الجديدة وميلان وتورين ونابل هي مدن العمل الناجع الرافع · ولا بيزا وجنوى هما ولا مرية ثغران تنبعث منها الحياة القوية فايطاليا مملوءة نشاطاً وهي كذلك في المستقبل ترى فيها بقايا العاديات كما تجد فيها المجددات والمبتدعات وان ارواح عظماء رجالها المفننين امثال ميشل آنج وليوناردي فنسي لتسر بما ترى الآن من معامل لومبارديا المائية الكهربائية العجيبة والمناطيد الطيارة السابحة في الفضاء · كم من آمال تحققت في ايطاليا ففيها ارادت مملكة القياصرة ثم البابوية ان تلقي السلام في العالم وفيها نشأت الخطط الشريفة في الابنية الاجتماعية والالهامات الصناعية العجيبة وكل ما ينهض بالامم ويعلي مقامها قد بدأ في صور بديعة لطيفة فايطاليا من ثم معمل الكمال والخيال

المقعدون والصناعة

في كل مجتمع افراد مصابون بعاهات تمنعهم عن تعاطي كثير من الاعمال فما هي الوسائل التي يجب على المجتمع ان يقوم بها نحوهم ؟ يجيب الانسان لاول وهلة انه يجب عليه ان يعلمهم حرفة يحترفون بها وهذا ما قامت به المدرسة الخيرية في مدينة نيويورك من المساعدة للانتفاع من المقعدين فقد رأت بعد البحث العميق ان صنعة الصياغة اوفق ما يكون لهؤلاء المنكودي الحظ لاسباب اهمها ان هذه الحرفة لا تتطلب كثيراً القوة الجسدية وفي استطاعة الصانع ان يعمل طول النهار دون ان يضطر الى الوقوف وطلب

صناع ماهرين في هذه الصنعة متواصل ولا يخشى عليها من تهافت المهاجرين الاوربيين فيفسدونها على اهلها كما افسدوا كثيراً من الصناعات البسيطة اذ هذه الحرفة تحتاج الى مهارة لا تتأتى الا بصرف وقت غير قصير في تعلمها فلهذه الغاية انشأت تلك المدرسة وصار المتعلمون يعملون فيها هذه الحرفة تحت رعاية صناع ماهرين وهم الآن يصلحون ما يدفع اليهم من العقود والجوهرات المكسرة بالاجرة عدا عما يصنعونه ويبيعونه على حسابهم والمدرسة ستجد لهم محال في العمل متى اتموا تعليمهم .

نادي السجناء

كثير من الاحداث الذين يدخلون السجون لجرائم ارتكبوها ثم يخرجون منها عازمين على ان يكونوا مستقيمين في مسلكهم ولكنهم لا يجدون عملاً ساعة خروجهم يشغلهم عنه ما يقوم باودهم اذ الناس تحجم عن استخدامهم لعدم الثقة بهم فيجبرون على ارتكاب جرائم اخرى طلباً للرزق فيزجون في اعماق السجون . فلمساعدة مثل هؤلاء الاحداث أسس في بروكلن احد احياء مدينة نيويورك نادٍ يأوون اليه ريثما يحصل الواحد منهم على عمل يقتات منه فعندها يترك النادي . والآن يوجد كثير ممن ساعدهم هذا النادي يقومون باعمال مفيدة وهم يمدونه بما لديهم من الوسائل

طهارة اللبن

قال احد الاسقفة المعاصرين « حقق لي طهارة اللبن الذي يتناوله الطفل أؤكد لك سلامته » وما زال علماء العالم منذ امد بعيد يبحثون عن الوسائل لحفظ اللبن من الجراثيم المتعددة الانواع التي تضر بصحة الآخذين فضلاً عن الاطفال وبهذه الغاية اخترع رجل جهاز مؤلف من وعائين الواحد ضمن الآخر الاول من المعدن والثاني من الخشب وبينهما فسحة لوضع الجليد لكي يحفظ اللبن رطباً والوعاآن محكمان يمر من الوعاء الداخلي انبوب يفرغ الى وعاء آخر خارج الاثنين ذو نمر كل نمرة تشير الى كذا من الوزن فلا يتمكن البائع الا فتح الانبوب يفرغ الى الوعاء المعد ويضع فيه قدر ما يطلب الزبون ثم يقفله ويفتح انبوباً آخر يفضي الى ابريق الزبون فبهذه الواسطة يكون قد حفظ اللبن من الفساد بالحر ولا يدخل اليه شيء من الجراثيم وقت المناولة

الراحة في السفر

قد فتح حديثاً في مدينة بوينس ايرس عاصمة الجمهورية الفضية نزل يسع ٣٢٠٠ نزيل وهو نزل حسن البناء والفرش ذو طابقين وفيه ادارة خصوصية لبيع بطاقات السفر في

السكك الحديدية فالنزل فيه لا يحتاج الى الخروج منه اذا كان يريد السفر في داخل البلاد لابتياع البطاقة وشحن اثقاله

اصلاح زي المرأة

اهمل النساء في ملابسهن مقتضيات الصحة وراعين شروط الجمال فعمدن الى المشد النهاية لدقة الخصر وبروز الصدر وارتدين بروداً لا تدفع تأثيرات الطقس الى غير ذلك مما انهك الاجسام واعدها لعوادي الضعف والوهن والنساء لاهيات بالمظاهر الخلابة عما وراءها من النحول والسقم ولما استفحل شر هذا الداء تألفت في المانيا جمعية نسائية غرضها اصلاح الازياء الى ما تقتضيه شروط الصحة وانضم اليها كثيرات من علية نساء الالمان واصدرن مجلة وضعن فيها رسوم الازياء الصحية ودعت الاديبات فيها الى خلع الازياء الجديدة وفي مقدمة اولئك الكاتبات ملكة رومانيا

وسرت الحركة الى فرنسا فاهتمت مجلاتها بهذا الاصلاح ونشرت فيه الفصول الضافية وحرضت الجمعيات النسائية في فرنسا على اقتفاء اثر الجمعية الالمانية

وانتشرت هذه الفكرة في بلاد الانكليز فكانت الملكة اول من ابرزت الفكر الى حيز العمل فاصدرت منشوراً لنساء الشرفاء صرحت فيه انها لا تقبل في البلاط الا من ارتدين باكسية واسعة عينتها لهن وانكرت الترف والمخفخة على نساء الاغنياء

وعسى ان تنهض نساء الشرق الى مجاراة اخواتهن في البلاد الراقية

السكر الآسيوي

يصطنعون في الشرق انواعاً من السكر غير معروفة في الغرب منها ما يصطنع في نيبون ويدعى سكر الرز ويسميه الاهلون ميزيام اي السكر السائل لانه غير جامد تماماً ولذلك لا يمكن تداوله في التجارة وانما يرسلون منه زجاجات محكمة السد تحتوي الواحدة منها من ٥٠٠ غرام تباع بنحو ثمانية غروش وتلك الزجاجات تحفظ السكر من الفساد ولكنها اذا استمرت مفتوحة حقبة تخثر السكر وفقد طعمه والتجار يستعملونه لالصاق الغلافات وطوابع البريد ويصطنع الصينيون نوعاً آخر من الجاورس فيستخرجون عصارة النبات ويضعونها اياماً في اوعية صغيرة معرضة لحرارة الشمس فتتبخر المياه ويرسب في قعر الوعاء مقدار من السكر يشربونه على المائدة